تعليقات على
تفسير الإمام النسفي
للربع الأول من سورة الأنفال

تأليف

الدكتور / سعد عبد المجيد المتولي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

ملخص:

عن بحث بعنوان

تعليقات على تفسير الإمام النسفي للربع الأول من سورة الأنفال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد... فهذا بحث يتناول فيه الباحث تعليقات على تفسير الإمام النسفي للربع الأول من سورة الأنفال.

وكان عملي في هذا البحث: ضبط عبارة الإمام النسفي، وشرحها، وتجلية مراده منها، وبيان ما خفي، وبيان ما أُجمل، وتحقيق ما ذُكر حتى يتسنى فهم هذا التفسير وتقريبه لطلاب العلم، وإزالة ما به من غموض أو إبهام، إذ أن تفسير النسفي مقتبس من تفسير الكشاف للزمخشري، مع تجريده من أسلوب السؤال والجواب، وقضايا الاعتزال... ولذا كان في حاجة إلى تلك التعليقات...

والله من وراء القصد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

A summary of research entitled:

(comment is on the interpretation of Imam Al Nasafi for the first quarter of Surat Al anfal).

praise be to Allah the lord of all worlds and peace and the blessing of Allah on his messenger Muhammad his family, his followers and companions and all people follow him all

First of all

This research is a research in which the researcher comment is on the interpretation of Imam Al Nasafi for the first quarter of Surat Al anfal researcher was commenting on the words to explain and analyse it, explaining what is hidden and explain what is summarized it to be easily understood by the learners and to clear all ambiguity the interpretation is quoted from Alkeshaf for Al zamakhshary removing question and answer Style so these comments were needed.

This work is intended for Allah

Peace and the blessing of Allah on his messenger Muhammad, his family, his followers and companions and all people follow him all.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين وعلماء الأمة الهداة المهديين والسالكين طريقهم إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فالقرآن الكريم معجزة هذه الأمة الخاتمة، ودستورها الدائم، وعزها وفخرها، وحافظ لغتها، وقد تبارى الأقدمون في حفظ القرآن الكريم وتفسيره، وقدموا لنا الكثير والكثير من تراثهم العظيم، ولكن ومع تغير الأيام والإنسان، قد تعيَّن الشرح والإيضاح، وكثيرًا ما وجدنا شروحًا وحواشي وتحقيقات لتراث السابقين.

وقد ظل كتاب (مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي) مؤلَّفًا عظيم القيمة بين كتب التفسير، فقد أوضح في أسلوب فاخر وفهم موفق عن معاني القرآن الكريم، وكتب عن أسباب نزوله، وأشار إلى نواحي الفصاحة ووجوه البلاغة فيه، وأعرب ما خفي إعرابه منه، وذكر وجوهًا من قراءات في أسلوب مختصر، ونزعة معتدلة، فكان بذلك كتابًا جامعًا مغنيًا عن أسفار مطولات تمل القارئين.

والقارئون لتفسير النسفي يرونه مكتنزًا، يطوي معاني مختلفة، ويتضمن مذاهب فقهية وأصولية ونحوية، وغير ذلك في عبارات حقيقة كثيرًا ما تخفى على أهل التخصص، والقارئون لتفسير الإمام النسفي من العلماء يحتاجون للتنقيب عن غوامضه وقتًا طويلًا، أما غير العلماء فقد لا

يتيسر لهم ذلك، فلذا كانت الحاجة داعية إلى توضيح لذلك الكتاب الجليل يكون معه في كتاب واحد ليرجع إليه فور الحاجة.

وها أنا أقدم (تعليقات على الإمام النسفي للربع الأول من سورة الأنفال) أُوضح فيها ما أُبهم، وأجلي ما خفي، وأُقرب فيها ما بعُد، وأعزو الأقوال إلى قائليها، وأخرِّج الآيات والأحاديث فضلًا عن تراجم لبعض العلماء، وتخريج القراءات وتوجيهها، كل هذا مع التوسط والاقتصاد، بين الطويل الممل والقصير المخل، والقارئ لهذا التعليق سيتضح له مدى قيمة تفسير الإمام النسفي وبراعته.

هذا، ويتكون البحث من مقدمة، والنص المعلق عليه، وخاتمة؛ وتشتمل على أهم النتائج، وأنهيت البحث بفهرس المراجع والمصادر.

والله أسأل أن يبارك هذا العمل وينفع به طلاب العلم والمسلمين،

وأن يجعله ذخرًا إلى يوم الدين، اللهم آمين.

﴿ سورة الأنفال[1] ﴾

مدنية[2] .....

(١) سميت بهذا الاسم - سورة الأنفال - لذكر كلمة الأنفال مرتين: الآية (١) كما ذكر الفعل (غنمتم) مرتين الآيتان: (٤١، ٦٩).

ولما كانت الأنفال تمثل جانب الانتصار للمؤمنين في أول لقاء بينهم وبين المشركين في غزوة (بدر الكبرى) ناسب أن تسمى بها؛ باعتبارها ثمرة النصر الذي تحقق على الأعداء، ولا ينبغي أن تكون هذه الثمرة وسيلة للخلاف بين المؤمنين.

وقد جرت حكمة المبدع الخبير في تسمية السور مراعاة المناسبة بين السورة وبين تسميتها، ومع هذه المراعاة فإن أسماء السور توقيفية لا توفيقية. (مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٢٠).

(٢) الراجح أن السورة مدنية بتمامها حيث نقل ابن الجوزي الإجماع على مدنية السورة، وذكرها الإمام السخاوي في السور المدنية، ولم يذكرها السيوطي في السور المستثناة، ونص على مدنية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾، فلا داعي للقول بمدنية السورة ما عدا هذه الآية للقصة المشهورة، فالآية مدنية النزول مكية القصة والمعنى. راجع: (زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ٢/ ١٨٦ ط دار الكتاب العربي، جمال القراء وكمال الإقراء للإمام السخاوي ١/ ٤٥ ط دار المأمون للتراث، الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي ١/ ٤١ - ٥٨. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب).

وهي خمس أو ست أو سبع وسبعون آية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرّسُولِ) النَّفَل: الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه، والأنفال الغنائم[2]. ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي .....

(١) وآياتها سبعون وخمس كوفي، وست حجازي وبصري، وسبع شامي، واختلافها ثلاث: ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ بصري وشامي، ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ الأولى غير كوفي، ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾غير بصري. البيان في عد آي القرآن لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني ١/ ١٥٨. ط مركز المخطوطات والتراث – الكويت، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبناء. صـ ٢٣٥. ط عبد الحميد أحمد حنفي.

وعليه؛ فالخلاف بين المصاحف الثلاث خلاف لفظي والنص واحد في المصاحف كلها بلا زيادة ولا نقصان. والخلاف في العدِّ يرجع إلى اختلاف العادِّين في فواصل بعض الآيات والنص واحد، وذلك أن النبي ﷺ كان يقف عند رؤوس الآيات للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع أنها ليست فاصلة.

(٢) قوله: (لأنها من فضل الله وعطائه) وهو علة التسمية، قال الإمام: "سميت الغنائم أنفالًا؛ لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل الغنائم لهم، وقال تعالى: **(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ)** [الأنبياء: ٧٢] ومنه قول لبيد: وإن تقوى ربنا خير نفل". راجع: مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٥/ ٤٤٧.

وقول لبيد: خير نفل: أي خير غنيمة. ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري ١/ ٩٠. ط دار المعرفة.

قسمتها فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعاً؟ فقيل له[1]: قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة[2] يحكم ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم.

ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته، ويمتثل الرسول أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوضاً إلى رأي أحد[3] ...

---

(١) هذا بيان لسبب نزول السورة الكريمة، وتمامه ما أخرجه الإمام أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ اللهُ الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، وَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحُوزُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ الله ﷺ لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ، وَفَاءَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ. وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ نَفَيْنَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ. وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ الله ﷺ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ، وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً وَاشْتَغَلْنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾». قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. (مسند الإمام أحمد بن حنبل لـ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ٣٧/ ٤٢١، ٤٢٢ رقم (٢٢٧٦٢). ط مؤسسة الرسالة).

(٢) يريد أن معنى: ﴿**الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾: أن حكمها مختص بالرسول ﷺ، وإذا كان ذلك كذلك؛ تعين أن السؤال استعلام لا استعطاء عن حكم الأنفال، ولذا قيل له: قل لهم هي لرسول الله خاصة وهو الحاكم فيها خاصة.

(٣) أي: أن ذكر الله مع الرسول في قوله: ﴿**قُلِ الأنفال لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ لتعظيم الرسول، من أن الحكم لله بحسب الأمر وللرسول بحسب الامتثال. ينظر: (حاشية السعد لوحة ٢٦٤. مخطوط بمكتبة الإسكندرية برقم ٤٦٠٤).

(فَاتَّقُوا اللَّه) [آل عمران: ١٢٣] في الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين في الله تعالى[١].

(وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)[٢] [الأنفال: ١] أحوال[٣] بينكم يعني ما بينكم من الأحوال التي تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق[٤]، وقال الزجاج[٥]: .....

(١) أي: فاتقوا عقاب الله ولا تقدموا على معصيته، واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الأموال، وارضوا بما حكم به رسول الله. راجع: (مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٥/ ٤٤٩. ط دار إحياء التراث العربي).

(٢) وتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى، والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح بحسب المقام وليندرج الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة. (تفسير أبي السعود ٤/ ٣ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت).

(٣) أي: أن (ذات) صفة لمفعول محذوف أي أحوالًا ذات اقترافكم، أو ذات وصلكم أو ذات المكان المتصل بكم. (حاشية الشهاب ٤/ ٥٢٠. ط دار صادر - بيروت).

(٤) هذا بيان لحقيقة ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. راجع: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ٢/ ١٩٥. ط الكتاب العربي - بيروت).

(٥) الزجاج: هو إبراهيم بن السَّري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد في بغداد سنة (٢٤١ هـ)، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، من كتبه: (معاني القرآن، والاشتقاق، وإعراب القرآن)، ومات ببغداد سنة (٣١١ هـ). راجع: الأعلام للزركلي ١/ ٤٠ ط دار العلم للملايين.

معنى (ذَاتَ بَيْنِكُمْ) [الأنفال: ١] حقيقة وصلكم[١].

والبيْن الوصل[٢] أي فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به. قال عبادة بن الصامت[٣] رضي الله عنه: نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ^ فقسمه بين المسلمين على السواء.

(١) معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل أبي إسحاق الزجاج ٢/ ٤٠٠ ط عالم الكتاب.

(٢) [بيْن]: موضوع للخلالة بين الشيئين ووسطهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ وهي تستعمل اسمًا تارة، وتستعمل ظرفًا تارةً أخرى؛ فأما استعمالها اسمًا فقد جاء في كلام الرب على وجهين متضادين؛ الأول: تستعمل بمعنى الفِراق، والثاني: تستعمل بمعنى الوصل.
واما استعمالها ظرفًا: فالأصل فيها أنها تستعمل لظرف المكان؛ لأنها ملحقة بالجهات الستة كيمين وشمال، فهي بمعنى وسط، وقد تكون للزمان أيضًا؛ إذا اتصلت بها الألف الزائدة (بينا) أو الميم الزائدة (بينما). راجع: (تهذيب اللغة للأزهري. باب النون والباء (بين). ٢١٥/ ٣٥٧. ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، المفردات للراغب. مادة بين. ١/ ١٥٦ وما بعدها. ط دار القلم – دمشق – بيروت، النحو الوافي ٢/ ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٨٥. ط دار المعارف – بيروت).

(٣) عبادة بن الصامت: هو الصحابي الأنصاري الخزرجي، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية مع رسول الله ﷺ وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها وبيعة الرضوان، ومات سنة أربع وثلاثين. (أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٣/ ١٥٨ وما بعدها ترجمة رقم (٢٧٧٨). ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

(وَأَطِيعُوا اللَّه وَرَسُولَهُ) [الأنفال: ١] فيما أمرتم به في الغنائم وغيرها[١] (إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ)[٢] [البقرة: ٩١] كاملي الإيمان[٣].

(١) قوله: ﴿وَأَطِيعُوا... ﴾... إلخ: لما نهاهم عن مخالفة حكم الرسول بـ ﴿فَاتَّقُوا اللَّه وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، أكد ذلك بأمرهم بالطاعة للرسول، ثم بالغ في هذا التأكيد بقوله: ﴿إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾... إلخ، والمراد: أن الإيمان الذي دعاكم الرسول إليه، ورغبكم فيه لا يتم إلا بالطاعة، فاحذروا الخروج عنها. راجع: (مفاتيح الغيب للرازي بتصرف ١٥/ ٤٤٩).

(٢) في استعمال (إِنْ) التي للشك دون (إذا) التي للتحقيق في قوله: ﴿إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ مطابقة للمقام، فإن الجواب غير مقطوع به، وفيه من الإلهاب والتهييج والتنشيط للمخاطبين، والحث لهم على المسارعة إلى الامتثال ما لا يخفى، مع إنهم في تلك الحال على الإيمان. (مع بلاغة القرآن. عبد الحميد العبيسي. صـ ٣١).

(٣) قال الإمام البيضاوي: «إن كنتم كاملي الإيمان، فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة: طاعة الأوامر، والاتقاء عن المعاصي، وإصلاح ذات البين بالعدل والإصلاح». (أنوار التنزيل ٣/ ٩٤. ط دار إحياء التراث العربي – بيروت).

قوله: ﴿إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾: كاملي الإيمان، وإنما دل على الكمال ليكون الخطاب مع من آمن إيمانًا لا شك فيه، وهذا يدل على أن الإيمان له مراتب، يعني: إن كنتم من الذين لهم المرتبة العليا في الإيمان.

ثم اتجه لهم أن يسألوا: ما لنا خوطبنا بقوله: ﴿إن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ وهل يشك في كوننا كاملي الإيمان؟ فقيل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾ الآيات. راجع: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية الطيبي على الكشاف للإمام الطيبي ٧/ ١٠ ط جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) إنما الكاملو[1] الإيمان (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)[2] [الأنفال: ٢] فَزَعَتْ لذكره[3] .....

(١) استفيد الكمال من التعريف بأل في قوله: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ نحو: ذلك الكتاب، فأل في قوله تعالى: ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ للعهد الذكري، فاللام في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ إشارة إليهم، أي: إنما الكاملون الإيمان الذين من صفتهم كيت وكيت، والدليل عليه قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ فلفظ ﴿أُولَئِكَ﴾ صريح في الإشارة إليهم، وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل، مع القطع بأن أصل الإيمان لا ينحصر في المذكور. راجع: (الكشاف ٢/ ١٩٥، وحاشية السعد لوحة رقم ٢٦٤).

(٢) في الآية ترتيب بديع للمقامات، تبدأ بمقام الخوف،: إما خوف الإجلال والهيبة، وإما خوف العقاب والرهبة، ثم ثانيًا: بالإيمان بالتكاليف الواردة، ثم ثالثًا: بالتفويض إلى الله – تعالى – والانقطاع إليه ورفض ما سواه. (مع بلاغة القرآن. صـ ٣١، ٣٢).

(٣) قوله: (فَزَعَتْ لذكره استعظاماً له): يعني أن المراد من الوجل الخوف الذي هو الخوف والجزع، أي: خافت من الله كلما ذُكر، وخافت إذا أرادت معصية، تذكرت الله وعقابه، وانتهت عما همت به، فهو على الأول – أي: ذكره على سبيل العموم – عام، وعلى هذا – أي: ذكر عقابه – خاص، وقال أهل الحقيقة: الخوف على قسمين: خوف العقاب، فيقدر ذكروا عقاب الله – بتقدير مضاف محذوف، وهو للعصاة، وخوف الجلال والعظمة، وهذا لم يحتج للإضمار، لحصوله بمجرد الذكر، فإن العبد الذليل إذا حضر عند ملك عظيم؛ يهابه، وهذا الخوف لا يزول عن قلب أحد، وجمع بين ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وبين ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ بأن الطمأنينة من اليقين، وشرح الصدر بالتوحيد، والخوف من العقاب، ولا تنافي بينهما. (راجع: حاشية الشهاب ٤/ ٢٥١، ومفاتيح الغيب ١٥/ ٤٥٠ – بتصرف).

استعظاماً له وتهيباً من جلاله وعزه وسلطانه.

(وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ) [الأنفال: ٢] أي القرآن (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) [الأنفال: ٢] ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة[1]، لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه، . . .

(١) في قوله تعالى: ﴿... **زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ مجاز عقلي، فقد أسند الزيادة إلى الآيات التي ضمير (زادت)؛ لكون الآيات سببًا عاديًا للزيادة؛ لأن الزيادة فعل الله عز وجل، والآيات يزاد بها عادة، فالعلاقة الملابسة أو العلاقة هنا السببية.

والقرينة: معنوية باستحالة مقام المسند بالمسند إليه، وتكمن بلاغة هذا المجاز العقلي في مدخلية السبب حتى صُوِّر الفاعل المجازي كأنه الفاعل الحقيقي فجعل السبب فاعلًا. (مع بلاغة القرآن. صـ ٣٢).

قوله: [ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة]: قال الشيخ محي الدين النووي: «الأظهر أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصدِّيقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعتريهم الشبهة، ولا يتزلزل إيمانهم بعارض، ولا تزال قلوبهم منشرحة وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك، فهذا مما لا يمكن إنكاره». شرح صحيح مسلم للإمام النووي ١/ ١٤٨ وما بعدها.

ويمكن أن يقال – والله أعلم –: نبَّه أولاً بقوله: ﴿**وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ على بَدْء حال المريد في التصقيل – أي في تزكية نفسه، وتنقيتها من المعاصي والآفات وأمراض القلوب –، وثانياً بقوله: ﴿**زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾ على أخذه في السلوك والتجلي وعروجه في الأحوال، وثالثاً بقوله: ﴿**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ على صعوده في الدرجات والمقامات. (فتوح الغيب ٧/ ٣).

أو زادتهم إيماناً بتلك الآيات؛ لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[1]) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم[2] لا يخشون ولا يرجون إلا إياه[3] (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والإخلاص والتوكل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة

(١) قال الشيخ العارف أبو إسماعيل الأنصاري: «التوكل: كِلَةُ الأمر كُلِّه إلى مالكه والتعويلُ على وكالته، وهو من أصعب المنازل». (مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ١٢٦. ط دار الكتاب العربي – بيروت).

(٢) هذا الكلام يفيد الحصر، أي: ولا يتوكلون إلا على ربهم، وهذه الحالة مرتبة عالية، ودرجة شريفة، وهي: أن يصير الإنسان بحيث لا يبقى له اعتماد في أمر من الأمور إلا على الله، واعلم أن هذه الصفات الثلاث مرتَّبة أحسن ترتيب، فإن المرتبة الأولى: الوجل من عقاب الله، والثانية: الانقياد لتكاليف الله، والثالثة: الانقطاع بالكلية عما سوى الله، والاعتماد بالكلية على فضل الله، بل الغناء عما سواه. (مفاتيح الغيب بتصرف يسير ١٥/ ٤٥٢).

– وفي تقديم المعمول: الإيذان بالتبرِّي عن الحول والقوة، والتفويض الكامل، وقطع النظر عما سواه. وفي صيغة المضارع: التلويح إلى استيعاب مراتب التوكل كُلِّها. (فتوح الغيب ٧/ ١٣).

(٣) أي: الأمور المفوضة إلى الله؛ إما أمور ترجى، أو أمور تخشى، ولذا قال الإمام النسفي: «لا يخشون ولا يرجون إلا إياه». (حاشية الشهاب ٤/ ٢٥١).

والصدقة[1].

(أُولَئِكَ[2] هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) [الأنفال: ٤] هو صفة مصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون إيماناً حقاً[3]، أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي (أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ) [الأنفال: ٤]

(١) تضمنت الآيتان السابقتان وصف المؤمنين بخمسة أوصاف: ثلاثة منها تتعلق بالباطن والقلب: الخوف من الله، والانقياد لطاعته المشار إليه بالإخلاص، وألا يتوكل إلا عليه، واثنان منهما يتعلقان بالظاهر: الصلاة والصدقة، ثم رتب على ذلك حقيقة إيمانهم واستحقاقهم الجنات؛ بّيَّن ذلك وأشار إلى وجه الاقتصار عليها؛ لأنها مكارم أفعال القلوب، ومحاسن أعمال الجوارح، فيدل على غيرها، فالخشية من ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، والإخلاص من حصر التوكل، وجعل تلك مكارمَ؛ لأنها من كرم النفوس وجودتها، وهذه محاسن؛ لتَزَيُّن ظاهر المرء بها. (حاشية الشهاب بتصرف يسير ٤/ ٢٥١).

(٢) في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ جعل المسند إليه اسم إشارة إلى من ذكرت صفاتهم الحميدة من أنهم متصفون بها؛ وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك عمَّن عداهم أكمل تمييز، منتظمون بذلك في سلك الأمور المشاهدة... وكان للبعيد؛ لقصد تعظيم المسند إليه بالبعد، فهو للإيذان بعلو رتبتهم، وبُعد منزلتهم في الشرف. (مع بلاغة القرآن للعبيسي. صـ ٣٢).

(٣) قوله: ﴿حَقًّا﴾ صفة للمصدر المؤكد - المفعول المطلق - المحذوف، وهو ﴿إِيمَانًا﴾؛ وعليه: فالعامل فيه ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ لا (حق) المقدر كما قيل، والتقدير: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إيمانًا ﴿حَقًّا﴾ لأنه يجوز أن يحذف المصدر المؤكد إذا وجد ما ينوب عنه كصفته، وهو هنا ﴿حَقًّا﴾. (ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ٥/ ٢٧١. ط دار الفكر - بيروت، وروح المعاني للإمام الآلوسي ٥/ ١٥٧ ط دار الكتب العلمية - بيروت).

كقولك «هو عبد الله حقاً» أي حق ذلك حقاً[1]. وعن الحسن[2] رحمه الله أن رجلاً سأله أمؤمن أنت؟ قال: إن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن، وإن كنت تسألني عن قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الحجرات: ١٠] الآية. فلا أدري أنا منهم أم لا[3].

وعن الثوري[4]: من زعم أنه مؤمن بالله حقاً ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية،

(١) يريد أن ﴿حَقًّا﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف، والتقدير: حقَّ ذلك حقًا.

(٢) الحسن: هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار التابعي البصري، أدرك من أصحاب رسول الله ﷺ مائة وثلاثين، مناقبه كثيرة، توفي سنة عشر ومائة رضي الله عنه. (تقريب التهذيب لابن حجر ١/ ١٦٠ ط دار الرشيد).

(٣) الأثر أخرجه البيهقي بسنده عن تمام بن نجيح قال: سأل رجل الحسن... الأثر. [ينظر: شعب الإيمان. باب زيادة الإيمان ونقصانه ١/ ١٦٨. الأثر: ٧٥. ط مكتبة الرشد، والاعتقاد للبيهقي ١/ ١٨٢. ط دار الآفاق الجديدة - بيروت.

والأثر بهذا الإسناد ضعيف فيه بقية بن الوليد، قال عنه ابن حجر: صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وذكره في المرتبة الرابعة من مراتب المدلسين، وضابط تلك المرتبة: من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم عن الضعفاء والمجاهيل. (تقريب التهذيب ١/ ١٢٦. ط دار الرشيد - سوريا، وتعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر ١/ ٤٩ ط مكتبة المنار).

- وفيه تمام بن نجيح، قال عنه ابن حجر: ضعيف. (ينظر: تقريب التهذيب ١/ ١٣٠).

(٤) سفيان الثوري: هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الكوفي الإمام الجامع لأنواع المحاسن، وهو من تابعي التابعين، اتفق العلماء على وصفه بالبراعة في العلم بالحديث والفقه والورع والزهد، وتوفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة رحمه الله رحمة واسعة. (تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٥٣ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت، والثقات لابن حبان ١٦/ ٤٠ ط مؤسسة الكتب الثقافية).

أي كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً، وبهذا يتشبث من يقول أنا مؤمن إن شاء الله[1].

وكان أبو حنيفة[2] رحمه الله لا يقول ذلك.

---

(١) قوله: (وبهذا يتشبث من يقول أنا مؤمن إن شاء الله): أي: بإلزام الثوري تمسك من يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وبيانُه: أنه تعالى عقب اسم الإشارة بقوله: ﴿**هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً**﴾، وبقوله: ﴿**لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ الآية، بعد إجراء الأوصاف الفاضلة على المؤمنين، فيلزم أن يكونا حقين ثابتين للمؤمنين، لاتِّصافهم بتلك الفضائل، وقد تقرر أن اسم الإشارة في مثل هذا المقام مؤذن بأن ما يرد عقيبه: المذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عُدِّدت، لا سيما على الحصر، فكأنهما معلَّلان معاً لتلك الصفات الجارية على الموصوف، فلا يُفارقانه أبداً. وقد تقرر – بل أُجمع عليه – أن أحداً من المسلمين بعد العشرة المبشرة – ومن ثبت تبشيره بالجنة من النبي ﷺ كخديجة وعائشة وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وعبد الله بن سلام وعمار بن ياسر ووالديه – لا يقدر أن يقطع بأنه من أهل الثواب، فمن قال: إني مؤمن حقاً لابد له من القول بأنَّ له درجات عند ربه قطعاً، وإلا فقد آمن ببعض دون البعض، لكنه لا يجوز القطع بالثاني، فلا يجوز القطع بالأول، فله أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، لا: أنا مؤمن حقاً. (فتوح الغيب ٧/ ١٨).

(٢) أبو حنيفة: الإمام البارع النعمان بن ثابت رضي الله عنهما، ولد سنة ثمانٍ من الهجرة، وتوفي سنة خمسين ومائة. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٣٩٠ ترجمة رقم (١٦٣) ط مؤسسة الرسالة).

وقال لقتادة[1]: لم تستثني في إيمانك؟ قال: اتباعاً لإبراهيم في قوله (وَالَّذِى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ) [الشعراء: ٨٢] (الشعراء: ٢٨) فقال له: هلا اقتديت به في قوله (أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ)[2] [البقرة: ٢٦٠] (البقرة: ٦٢)، وعن إبراهيم التيمي[3]: قل أنا مؤمن حقاً فإن صدقت أثبت عليه، وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك.

---

(١) قتادة: هو قتادة بن دعامة السدوسي، البصري، التابعي، توفي سنة سبع عشرة وقيل: سنة ثمان عشرة ومائة. (تهذيب الكمال لأبي الحجاج يوسف المزي ٢٣/ ٤٩٨ ترجمة رقم (٤٨٤٨) ط مؤسسة الرسالة – بيروت).

(٢) يعني: لمَ لمْ تقتدِ به في هذا الجواب حيث جزم به وقطعه ولم يتردد فيه، ولم يقل: بلى إن شاء الله؟ ويمكن أن يُجاب: بأن الإيمان بأن الله تعالى قادر على إحياء الموتى مما الشَّك فيه مُوجِب للكفر، وليس أيضاً في مقام التبرُّك، بخلافه في قوله عليه السلام: ﴿**وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ**﴾ [الشعراء: ٨٢]، فإنه عليه السلام في مقام هضم النفس وتحرِّي الوسيلة إلى إنجاح المطلوب. (فتوح الغيب ٧/ ١٨).

(٣) إبراهيم التيمي: هو إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي، أبو إسحاق المدني، ثقة، مات سنة عشر ومائة، وله أربع وستون رحمه الله. (تهذيب الكمال للمزي ٢/ ١٧٢ – ١٧٤ ترجمة رقم (٢٢٩).

وعن ابن عباس[1] رضي الله عنهما: من لم يكن منافقاً فهو مؤمن حقاً. وقد احتج عبد الله[2] على أحمد[3] فقال: إيش[4] اسمك؟ فقال: أحمد، فقال: أتقول أنا أحمد حقاً أو أنا أحمد إن شاء الله؟

فقال: أنا أحمد حقاً. فقال: حيث سماك والداك لا تستثني وقد سماك الله في القرآن مؤمناً تستثني. (لَّهُمْ دَرَجَاتٌ)[5] [الأنفال: ٤] مراتب بعضها فوق بعض على قدر الأعمال[6].

(١) ابن عباس: هو الصحابي الجليل المكي ابن عم رسول الله ﷺ، وكان يقال له: حبر الأمة لكثرة علمه، مناقبه كثيرة ومشهورة رضي الله عنه، توفي بالطائف سنة ثمانٍ وستين. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٦/ ١٣٠ ترجمة رقم (٤٧٢) ط المكتبة الأزهرية).

(٢) عبد الله: هو عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن الإمام المجمع على إمامته وجلالته، وهو من تابعي التابعين، توفي سنة إحدى وقيل اثنتين وثمانين ومائة، رضي الله تعالى عنه. (تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/ ٢٤٧ – ٢٤٩ ترجمة رقم ٤٠٤١).

(٣) أحمد: هو أحمد بن حنبل، الإمام البارع أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي، توفي ضحوة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين. (سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ١٧٧).

(٤) قوله: أيش: تحريف أيِّ شيء.

(٥) في قوله تعالى: ﴿**لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ...** الآية﴾ مقابلة؛ فإنه لما تقدمت ثلاث صفات: قلبية، وبدنية، ومالية، تترتب عليها ثلاثة أشياء، فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات، والبدنية بالغفران، وقوبلت المالية بالرزق الكريم؛ وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع. (مع بلاغة القرآن. عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٣٣).

(٦) فالكلام فيه استعارة لطيفة حيث استعار (الدرجات) للمراتب الرفيعة والمنازل العالية في الجنة.

(عِندَ رَبِّهِمْ[1] وَمَغْفِرَةٌ) [الأنفال: ٤] وتجاوز لسيئاتهم. (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)[2] [الأنفال: ٤] صافٍ عن كد الاكتساب وخوف الحساب.

الكاف في (كَمَا أَخْرَجَكَ[3] رَبُّكَ[4]) [الأنفال: ٥] في محل النصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر، والتقدير: قل الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل

(١) في إضافة الظرف (عند) إلى (رب) المضاف إلى ضمير (هم): مزيد تشريف ولطف لهم، وإيذان بأن ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول، مأمون الفوات. وفي اختيار: (رب) دون لفظ الجلالة مثلًا: مراعاة للمقام، وتحقيق لمناسبة السياق؛ ففيه تذكير بمظاهر الربوبية، فهو الخالق لهم ابتداءً، والمربي غذاءً، والغافر انتهاءً. (تفسير أبي السعود ١/ ١٨٠ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت).

(٢) في قوله: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ مجاز عقلي لملابسة الرزق حالة صاحبه ملابسة صفة لموصوفها، والكريم هو صاحب الرزق لا الرزق ولكنه لوفرته وكثرته كريم صاحبه، فوصفه بـ (كريم) من إسناد الوصف إلى غير ما هو له، وهو من المبالغة لأنه يدل على كثرة الكرم بسبب كثرة الرزق ووفرته فإن الكريم يرزق بوفرة وبغير حساب. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

* وفي تنكير (درجات، رزق) إفادة معنى التكثير، وفي تنكير (مغفرة) إفادة معنى التنويع.

(٣) في قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَكَ﴾ إفادة أن الإخراج كان بإذن الله تعالى؛ ومن ثَمَّ كان نصر الله الذي وعد به المؤمنين من عباده.

(٤) في قوله تعالى: ﴿رَبُّكَ﴾ مع أنه رب العالمين: مزيد تشريف وتعظيم وتأييد مستمر للرسول ﷺ في المواقف الحاسمة، ووعد أكيد بالنصر متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات. (مع بلاغة القرآن. صـ ٤٣).

ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون[1].

(مِن بَيْتِكَ[2]**) [الأنفال: ٥] يريد بيته بالمدينة، أو المدينة نفسها؛ .....**

(١) ويجوز أن تكون الكاف في قوله: ﴿**أَخْرَجَكَ**﴾ في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو الحال مثلُ حالِ إخراجك.

قال السعد: لا خفاء في أن الأوجَه هو الرفع؛ لأن الناصب بعيد، والفاصل كثير، وجعْل ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ**﴾ داخلًا في حيز (قل) ليس بحسن في الانتظام. (حاشية السعد. صـ ٢٦٥).

وقال الطيبي: بل الوجه الثاني – النصب – أدق التئاماً من الأول، والتشبيه فيه أكثر تفصيلاً، لأنه حينئذ من تتمة الجملة السابقة داخل في حيز المقول مع مراعاة الالتفات، فالفاء في ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ**﴾ رابطةٌ للوصف بالحكم، جاعلةٌ تتمة الآية من جملة حال المشبه ومرتبة عليه، فكأنه قيل: قُلِ الأنفالُ استقر لله مع كراهتكم، وكان خيراً لكم؛ لِـمَا حصل لكم من تقوى الله وطاعة الرسول وإصلاح ذات البين، كما استقر إخراجي من المدينة إلى القتال مع كراهتكم إياه، وكان خيراً لكم؛ لما نِلتُم من الفتح والغنيمة. (حاشية الطيبي على الكشاف ٧/ ٢٠).

(٢) في قوله: ﴿**مِن بَيْتِكَ**﴾ إذا أريد به (المدينة) فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ فقد أطلق الجزء وأراد الكل. (مع بلاغة القرآن لـ عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٤٣).

لأنها مهاجره[1] ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه (بِالْحَقِّ) إخراجاً متلبساً[2] بالحكمة والصواب (وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) [الأنفال: ٥] في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم.

وذلك أن عير[3] قريش[4] أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان[5]، فأخبر جبريل النبي عليه السلام فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل[6] بجميع أهل مكة.....

(١) قوله (مهاجَره) بفتح الجيم على صيغة اسم المفعول، المراد به اسم المكان، أي: موضع هجرته.

(٢) استفيد قوله (ملتبسًا) من معنى الباء في قوله تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾، فالباء للملابسة.

(٣) قوله (عير قريش) العشير - بكسر العين - الإبل التي تَحمل المتاع، والمراد هنا: القافلة من التجار. (تاج العروس للزبيدي. باب الراء. فصل العين مع الراء (عير) ٣١/ ١٧٥. ط دار الهداية).

(٤) قوله (وذلك أن عير قريش): جملة كالمبينة للأولى وإن دخلتها الواو؛ لأن المشار إليه ما سبق، أي: الإخراج في حال الكراهية، لأن عير قريش... إلخ. (حاشية الطيبي ٧/ ٢٢).

(٥) أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي المكي، أسلم زمن الفتح، وكان شيخ مكة إذ ذاك ورئيس قريش، نزل المدينة وتوفي بها سنه إحدى وثلاثين وقيل أربع وثلاثين، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة.

(٦) أبو جهل: عدو الله فرعون هذه الأمة، اسمه عمرو بن هشام، وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهل المعروف، وكان يكنب أبا الحكم فكناه النبي ﷺ أبا جهل، قُتل يوم بدرٍ كافرًا. (جمهرة أنساب العرب لابن حزم. صـ ١٤٥. ط دار الكتب العلمية - بيروت).

وهو النفير[1] في المثل السائر[2]: لا في العير ولا في النفير.

فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت، فأبى وسار بمن معه إلى بدر[3] – وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة – ونزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما قريشاً.

فاستشار النبي ^ أصحابه وقال العير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو.

(١) النفير: الجماعة ينفرون إلى أمر، وهم هنا الذين خرجوا مع أبي جهل لاستخلاص العير، وهي في الأصل: الإبل التي تُحمل عليها الميرة – الطعام ونحوه مما يجلب للبيع – وأول من قال: لا في العير ولا في النفير؛ أبو سفيان حين انصرف جميع بني زهرة وعدلوا عن قريش إلى مكة، يعني بـ (العير): عير قريش التي أقلبت مع أبي سفيان من الشام، وبـ (النفير): من خرج مع ابن ربيعة لاستنقاذها من أيدي المسلمين. (حاشية السعد. صـ ٢٦٥).

(٢) قوله: (في المثل السائر): أي الجاري بين الناس.

(٣) بدر: ماء اسم رجل حفر تلك البئر واستنبط ماءها، وهو مكان مشهور بين مكة والمدينة، وبه كانت الوقعة المشهورة بين النبي ﷺ وأهل مكة. (ينظر: حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٣، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع بتصرف ١/ ١٧٠ وما بعدها لـ عبد المؤمن بن عبد الحق ط دار الجيل – بيروت).

فتغير[1] وجه رسول الله ^ ثم ردّد عليهم فقال: «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل» فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو. فقام عند غضب النبي ^ أبو بكر[2] وعمر[3] رضي الله عنهما فأحسنا[4]، ثم قام سعد بن عبادة[5] فقال انظر

(١) قوله: (قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو. فتغير وجه رسول الله... فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو): وهذا هو المراد من إيراد هذه القصة؛ لأن القصة سيقت لبيان أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ حال، كما عُلم من كلامه. (حاشية الطيبي ٧/ ٢٤).

(٢) أبو بكر: هو أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر، لا تحصى مناقبه ويحيط بفضائله غير الله عز وجل، توفي وله ثلاث وستون سنة كرسول الله ﷺ. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٣/ ٩٦٣ - ٩٧٧ ترجمة رقم (١٦٣٣) ط ار الجيل - بيروت).

(٣) عمر: هو عمر بن الخطاب بن نُفيل: اتفقوا على أنه أول من سُمِّي أمير المؤمنين، وفضائله وسيرته أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تُحصر، وكان إسلامه فتحًا على المسلمين وفرجًا لهم من الضيق، توفي يوم الأربعاء لأربع ليالٍ من شهر ذي الحجة سنة ثلاثٍ وعشرين من الهجرة. (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/ ٣١٢ - ٣١٦ ترجمة رقم (٥٧٦٢) ط دار هجر).

(٤) قوله (فأحسنا): أي أحسنا الكلام في اتباع أمر رسول الله ﷺ. (حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٢).

(٥) سعد بن عبادة: هو سعد بن عُبادة بن دُليْم بن حارثة الأنصاري الخزرجي وكان نقيب بني ساعدة وله ولأهله في الجود أخبار حسنة، مات بأرض الشام سنة خمس عشرة وقيل غير ذلك. (أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٢/ ٤٤١ ترجمة رقم (٢٠١٢) ط دار الكتب العلمية).

أمرك فامض[1]، فوالله لو سرت إلى عدن أبين[2] ما تخلف عنك رجل من الأنصار. ثم قال المقداد بن عمرو[3]: امض[4] لما أمرك الله فإنا معك حيث أحببت، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (المائدة: ٤٢). ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. ما دامت عين منا تطرف، فضحك رسول الله ﷺ، وقال سعد بن معاذ[5] رضي الله عنه:

---

(١) قوله: (انظر أمرك فامضِ): أي: ما تريد، وافعل فنحن لا نخالفك، وكان النبي ﷺ يخشى مخالفة الأنصار؛ لأنهم شرطوا في بيعة العقبة أن ينصروه على من أتاه وهو بالمدينة. (حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٢).

(٢) قوله: (عدن أبين): مدينة معروفة باليمن، أضيفت إلى (أبين) بوزن (أبيض) وهو رجل عَدَنَ بها أي: أقام. (حاشية الطيبي ٧/ ٢٤).

فإضافة عدن إلى أبين لمجرد الملابسة؛ حيث أضيفت عدن إلى أبين لمجرد إقامته فيها.

(٣) المقداد بن عمرو: هو المقداد بن عمرو الكندي الصحابي، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة حقيقةً، واشتهر بالمقداد بن الأسود، شهد فتح مصر، ومات في أرضه بالجرف، فحمل إلى المدينة ودفن بها في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاثٍ وثلاثين وهو ابن سبعين سنة. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٤/ ١٤٨٠ وما بعدها ترجمة رقم (٢٥٦١) ط دار الجيل - بيروت).

(٤) قوله: (قال المقداد بن عمرو: امضِ... إلخ). أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب التفسير. سورة المائدة. ٤/ ١٦٨٤. ح رقم (٤٣٣٣). ط دار ابن كثير.

(٥) سعد بن معاذ: هو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الصحابي كان من أعظم الناس بركة في الإسلام، ومن أنفعهم لقومه، شهد بدرًا وأحدًا والخندق وقريظة، وتوفي شهيدًا عام الخندق سنة خمس. (الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ٣٣٠ ترجمة رقم (٣٢١٨) ط دار هجر).

امض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر[1] فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، فسر بنا على بركة الله.

ففرح رسول الله ﷺ ونشطه قول سعد ثم قال: «سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم[2]» وكانت[3] الكراهة.....

---

(١) قوله: (لو استعرضت... إلخ) أي لو طلبت أن نقطعه عرْضًا في صحبتك، أو طلبت من البحر عرض ما عنده من الأمواج والأهوال، ملتبسًا بنا. (حاشية السعد. صـ ٢٦٥).
وقال الشهاب: لو عبرتَه عَرْضًا وهو أشق من طوله، وقيل: معناه لو طلبت من البحر عرض ما عنده من الأمواج والأهوال،، وأنت فيه...) (حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٣).

(٢) أي المواضع التي فيها جثث قتلاهم. أخرج الإمام مسلم بسنده عن أنس: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا ، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا ، قَالَ : فَنَدَبَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ ، قَالَ : وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ هَاهُنَا ، هَاهُنَا ، قَالَ : فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ الله ﷺ». صحيح الإمام مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب غزوة بدر. ٥/ ١٧٠. ح رقم ٤٧٢١. ط دار الجيل – بيروت.

(٣) قوله: (وكانت الكراهة من بعضهم): عطف على قوله: (وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام) إلى آخر القصة، أو حال عاملة معنى الإشارة، وهو كالبيان لمضمون القصة، لأن القصة آذنت بحصول الكراهة من أصحاب الرسول ﷺ لتلقي النفير، والإعجاب لتلقي العير، ولم يُعلم أن كلهم كرهوا ذلك أو بقي فيهم من لم يكره، يدل عليه قوله: (فاستشار أصحابه وقال: ما تقولون: العير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا: بل العير، فتغير وجه رسول الله ﷺ). فقال: وكانت الكراهة من بعضهم بدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**﴾. (حاشية الطيبي على الكشاف ٤/ ٢٦).

من بعضهم[1] لقوله: (وَإِنّ فَرِيقًا مّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ)[2] [الأنفال: ٥].

(١) استفيد البعضية من ﴿مِّنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنّ فَرِيقًا مّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فمن فيها معنى التبعيض.

(٢) في الإتيان بالمؤكدات (إنَّ) و (الجملة الاسمية) و (اللام) من قوله تعالى: ﴿وَإِنّ فَرِيقًا مّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ سر بلاغي؛ هو أن هذا الخبر من الأمور العجيبة فناسب تأكيده؛ ليستقر في النفوس أيما استقرار.

قال الطاهر: وتأكيد خبر كراهية فريق من المؤمنين مستعمل في التعجيب من شأنهم بتنزيل السامع غير المنكر لوقوع الخبر منزلة المنكر؛ لأن وقوع ذلك مما شأنه أن لا يقع، إذ كان الشأن اتباع ما يحبه الرسول ﷺ أو التفويض إليه، وما كان ينبغي لهم أن يكرهوا لقاء العدو، ويستلزم هذا التنزيل التعجيب من حال المخبر عنهم بهذه الكراهية فيكون تأكيد الخبر كناية عن التعجيب من المخبر عنهم. التحرير والتنوير ٩/ ٢٦٧. ط دار سحنون.

* في تنكير ﴿فَرِيقًا﴾ إفادة معنى التقليل أو التنويع.

* في حذف المفعول من قوله: ﴿لَكَارِهُونَ﴾: مراعاة لفواصل الآيات؛ إذ التقدير: لكارهون الخروج. (مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٤٤).

قال الشيخ أبو منصور[1] رحمه الله: يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقاداً، ويحتمل أن يكونوا مخلصين، وأن يكون ذلك كراهة طبع لأنهم غير متأهبين له[2].

(يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ)[3] [الأنفال: ٦] الحق الذي جادلوا فيه رسول الله ﷺ تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير (بَعْدَمَا تَبَيَّنَ)[4] [الأنفال: ٦] بعد إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون[5]

---

(١) الشيخ أبو منصور: هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي.

(٢) تأويلات أهل السنة للشيخ أبي منصور الماتريدي ٤/ ١٥٦ ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٣) في فصل جملة ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ عن الجملة قبلها سر بلاغي هو: المسمى شبه كمال الاتصال؛ كأن سائلًا سأل فقال: ما مظاهر كراهة هذا الفريق؟ فقيل: يجادلونك... .

* في التعبير بصيغة المضارع: ﴿يُجَادِلُونَكَ﴾ مع أن الجدال قد مضى وفات: استحضار لصورته المثيرة.

قال الطاهر بن عاشور: وصيغة المضارع لحكاية حال المجادلة زيادة في التعجيب منها، وهذا التعجيب كالذي في قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُنَا﴾ من قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤]. التحرير والتنوير ٩/ ٢٦٧ ط الدار التونسية للنشر - تونس.

(٤) في التعبير بقوله: ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ وهو قيد: سر بلاغي هو إفادة أن لومَ هؤلاء المجادلين كان شديدًا؛ لأن من جادل في شيء لم يتضح كان أخف عتبًا، أما من نازع في أمر واضح فهو جدير بالإنكار العظيم. (مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد العبيسي. صـ ٤٤).

(٥) بأنهم ينصرون: فاعل ﴿تَبَيَّنَ﴾: ضمير الحق من غير شبهة، وهذا تفسير للمراد منه؛ لأنه ما آثر الجهاد، لا بعد علمه بالنصر بإعلام الله له به، فلا يرد عليه أنه مخالف للظاهر. (حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٣).

وَجِدَالُهم قولُهم ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ) [الأنفال: ٦] شبه[١] حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل[٢] إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها .

وقيل[٣]: كان خوفهم لقلة العدد وإنهم كانوا رجالة[٤] .....

(١) فالمشبه قوله: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ لأن مثلَ هذا الجدال – أعني قولهم (ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلتَ لنا لنستعد ونتأهب) بعد قول رسول الله ﷺ: «إن الله وعدني إحدى الطائفتين»، وقوله: «والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم» – يدل على جبنٍ عظيم وإفراط في الرعب والفرَق، فصح تشبيهه بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ ثم علقت هذه الجملة على ما سبق من حيث المعنى يعني: أثبتَ الله لهم الجدال بسبب الكراهية بعدما أعلمهم رسول الله ﷺ بالنصرة.

(٢) العتل: الجذب بعنف، يقال: (عتلت الرجل أعتله: إذا جذبته جذبًا عنيفًا). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مادة: عتل. ٥/ ١٧٥٨. ط دار العلم للملايين.

(٣) قوله: (وقيل: كان خوفهم لقلة العدد...) عطف على قوله: (لكراهتهم القتال) أي خافوا العدو إما جبْنًا وخَوَرًا وكانوا معذَرين فيه لقلة العدد والعُدد، ولهذا قدَّر وجه التشبيه في الأول: (في فرط فزعهم ورُعبهم). (حاشية الطيبي ٧/ ٢٨).

(٤) قوله: (رَجَّالة): أي يسيرون على أقدامهم، وليس لهم ظهر يركبونه. وواحده: رَاجل. (ينظر: لسان العرب. مادة رجل. ١١/ ٢٦٨. ط دار صادر – بيروت).

وما كان فيهم إلا فارسان[1] (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) «إذ» منصوب بـ «اذكر»[2] و (إِحْدَى) مفعول ثانٍ (أَنَّهَا لَكُمْ) [الأنفال: ٧] بدل[3] من (إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) [الأنفال: ٧] وهما العير والنفير والتقدير: وإذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ[4] تَكُونُ لَكُمْ) [الأنفال: ٧] أي العير وذات الشوكة ذات السلاح، .....

(١) قوله: (إلا فارسان): قيل: هما المقداد بن الأسود والزبير بن العوام. وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن علي رضي الله عنه: «ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير المقداد». مسند الإمام أحمد بن حنبل. ٢/ ٢٩٩. ح رقم (١٠٢٣). تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط مؤسسة الرسالة.

(٢) أي: إذ ظرف مبني على السكون في محل نصب بفعل مقدر تقديره: اذكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ...﴾ [الأنفال: ٢٦].

(٣) بدل اشتمال من ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾، وهو بدل مبيِّن لكيفية الوعد.

(٤) في قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾: كناية عن موصوف؛ وهي العير؛ لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسًا، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم، ولا يخفى أن بلاغة الكناية تلك تتمثل في سوْق هذا الكلام مصحوبًا بالدليل. (مع بلاغة القرآن. صـ ٤٤).

* ويجوز أن تكون الشوكة استعيرت للشدة والحدة وللسلاح، وهي: استعارة تصريحية أصلية مجردة، حيث شبه خروج المسلمين لقتال المشركين في غزوة بدر بالسلاح بالشوكة بجامع الشدة والحدة في كل ثم حُذف المشبه واستعير المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية لتصريحها بالمشبه به – أصلية – لوقوعها في اسم جامد.

والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الأخرى (وَيُرِيدُ اللَّه أَن يُحِقّ الْحَقّ) [الأنفال: ٧] أي يثبته[١] ويعليه (بِكَلِمَاتِهِ) بآياته[٢] المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من قتلهم وطرحهم في قليب[٣] بدر (وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) [الأنفال: ٧] آخرَهم والدابرُ الآخرُ فاعل من دبر إذا أدبر.

وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال[٤] يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة، وسفساف الأمور[٥]،

---

(١) أي يثبته: يشير إلى أنه من (حَقَّ): ثَبَتَ، فأحقَّه: ثبته، وإعلاؤه: إظهاره على غيره. (حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٤).

(٢) قوله: (بآياته المنزلة)، و (وبما أمر الملائكة)، و (بما قضى من أسرهم): كلها تفسير لقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾؛ لأنها جمع يحتمل المعدودات كُلَّها، لأن الكلمة تطلق على المنزَّل، نحو قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وعلى (كُنْ) بمعنى الامر الحقيقي، أو بمعنى (قضى) على المجاز كقوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧، مريم: ٣٥]. حاشية الطيبي ٧/ ٢٩.

(٣) القَلِيب: الْبِئْرُ قَبْلَ أَنْ تُطْوَى. قُلْتُ: يَعْنِي قَبْلَ أَنْ تُبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا. يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هِيَ الْبِئْرُ الْعَادِيَّةُ الْقَدِيمَةُ. (مختار الصحاح للرازي. مادة «قلب». صـ ٥٤٧. ط دار الفكر).

(٤) أي: قوله: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ كناية عن صفة؛ وهي الاستئصال.

(٥) قوله: (وسفساف الأمور): السَّفْسَاف: ضد المكارم والمعالي، وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نُخِلَ، والتراب إذا أُثير، والمصنف – النسفي – ذهب إلى الاقتباس مما ورد في الحديث: «إن الله عز وجل يحب معالي الأمور ويكره سَفسَافها»، ومن ثم ذكر في المقابل: (والله تعالى يريد معاليَ الأمور). ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر. حرف السين. باب السين مع الفاء (سفسف). ٢/ ٣٧٣ وما بعدها. ط المكتبة العلمية – بيروت، والمعجم الأوسط للطبراني ٣/ ٢١٠. ح رقم (٢٩٤٠). ط دار الحرمين – القاهرة.

والله تعالى يريد معالي الأمور، ونصرة الحق، وعلو الكلمة، وشتان[1] ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (لِيُحِقَّ الْحَقَّ) [الأنفال: ٨] متعلق بـ (يقطع) أو بمحذوف تقديره ليحق الحقَّ (وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ) [الأنفال: ٨] فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أي ما فعله إلا لهما[2]، وهو إثبات الإسلام وإظهاره، وإبطال الكفر، ومحقه، وليس هذا بتكرار لأن الأول تمييز بين الإرادتين، وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها[3] .....

(١) شتان: اسم فعل ماضٍ بمعنى بَعُدَ.

(٢) وعلى القول بأن الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف مؤخر تقديره (ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك) يكون في قوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ قصر بلاغي طريقه تقديم ما حقه التأخير؛ فإن الأصل في الجار والمجرور أن يتأخر عن عامله، لكنه قدم هنا لإفادة القصر والحصر، فإن الفعل المحذوف يجب أن يقدر مؤخرًا؛ إذ التقدير: لإثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه فعل ذلك؛ أي ما فعله إلا لهما؛ فهو من قصر الصفة على الموصوف.

* وفي قوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أيضًا مقابلة رائعة؛ فقد قابل بين المعنيين المتضادين.

(٣) هذا وجه في بيان عدم التكرار بين قوله: (ويريد الله أن يحق الحق ويبطل الباطل) وبين قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾، وهناك وجه آخر وهو: أن المراد بالأول تثبيت ما وعد الله في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء.

والمراد بالثاني: تقوية القرآن والدين، وإظهار منار الشريعة؛ لأن الذي وقع يوم بد من نصر المؤمنين مع قلتهم، وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببًا لإعزاز الدين وقوته؛ ولهذا السبب قرنه بقوله: ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ يعني الذي هو الشرك. (تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٣/ ١١. ط دار الفكر).

(وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) [الأنفال: ٨] المشركون ذلك[١].

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ[٢] رَبَّكُمْ) [الأنفال: ٩] بدل من (يَعِدُكُمُ)[٣] أو متعلق بقوله (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ)[٤] [الأنفال: ٨] واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال . . . . .

(١) فالمراد بالإشارة في كلام النسفي: إحقاق الحق وإبطال الباطل. (تفسير أبي السعود ٤/ ٧. ط دار إحياء التراث العربي).

* وبيان أن المرد بالمجرمين المشركون، وتقريره (ذلك) يعني أن مفعول (كره) محذوف، وحذف المفعول للعلم به هنا أو لتنزيل الفعل (كره) المتعدي منزلة اللازم لعدم تعلق فائدة بذكر المفعول.

(٢) التعبير بالمضارع في قوله: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾ مع أن المقام للماضي؛ لحكاية الحال الماضية استحضارًا لتلك الصورة العجيبة في الذهن.

(٣) قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾ معمول لعامله المقدر وهو: اذكر، بأن يكون ﴿إِذْ﴾ عبارة عن زمان واسع وقع الوعد في بعض أجزائه، والاستغاثة في بعض. (حاشية السعد. صـ ٢٦٥).

(٤) قيل: هذا أوجَه من أن يكون بدلًا؛ لأن زمان الوعد غير زمان الاستغاثة، إلا على تأويل أن الوعد والاستغاثة وقعا في زمان واسع، كما تقول: لقيته في سنة كذا. وهذا أبلغ لتكرير التذكير لمزيد الامتنان والتعبير لِما وُجِدَ منه من الكراهة والخوف. (حاشية الطيبي ٧/ ٣٢).

* وقيل: هي مستأنفة على إضمار: واذكر وقت استغاثتكم.

* وقيل: منصوبة بـ ﴿يَعِدُكُمُ﴾، وقيل: ظرف لـ ﴿تَوَدُّونَ﴾. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٥/ ٥٦٥ ط دار القلم.

طفقوا يدعون الله يقولون أي ربنا انصرنا على عدوك، يا غياث المستغيثين أغثنا .

وهي طلب الغوث وهو التخليص من المكروه[1] (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) [الأنفال: ٩]

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني. مادة (غوث). ١/ ٦١٧. ط دار القلم.

* والأقرب إلى الصواب أن الاستغاثة كانت من الرسول ﷺ حيث دعا وتضرع كما روي، وكان المؤمنون يؤمِّنون على دعائه طالبين داعين في أنفسهم الغوث، وهذا جمع بين الروايات المختلفة، «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ الله ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)** [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ الله، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ الله ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ =

فأجاب[1].

وأصل (أَنِّي مُمِدُّكُم) [الأنفال: ٩] «بأني ممدكم» فحذف الجار[2] وسلط عليه[3] فنصب محله[4] (مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال: ٩].

(مُرْدِفِينَ)[5]. مدني[6]. غيره[7] بكسر الدال[8]. فالكسر على أنهم أردفوا

=أَخْذِهِم الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ الله ﷺ - وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) [الأنفال: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا) [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ». صحيح الإمام مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم ٣/ ١٣٨٣ حديث رقم (٥٨) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(١) استجاب: من الاستجابة بمعنى الإجابة، وحقيقتها: التحرِّي للجواب، والتهيؤ له، لكن عُبِّر به عن الإجابة؛ لقلة انفكاكها منها، والمعنى المراد: أجاب. (المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة: "جوب". صـ ٢١٠. ط دار القلم - بيروت).

(٢) قوله: فحذف الجار: لأنه مقيس مع أنَّ و أنْ. (حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٥).

(٣) الضمير في عليه عائد على ﴿اسْتَجَابَ﴾.

(٤) قوله: فنصب محله: لأن إضمار الجار ضعيف. (حاشية الشهاب. صـ ٢٦٥).

(٥) بفتح الدال في ﴿مُرْدَفِينَ﴾ اسم مفعول، أي مردَفين بغيرهم.

(٦) قوله: مدني: أي نافع المدني.

(٧) قوله: غيره: أي باقي السبعة.

(٨) اسم فاعل.

غيرهم، والفتح على أنه أردف كل ملك ملكاً آخر. يقال: ردفه إذا تبعه[1]، وأردفته إياه إذا اتبعه (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أي الإمداد الذي دل عليه ممدكم[2].

(١) يقال: رَدِفتُ الرجلَ إذا ركبْت خَلْفَهُ، وَأَرْدَفتُه إذا أَرْكَبْتُه خلفي، ويقال أردَفْتُ الرجُلَ إذا جئتَ بعدَه، فمعنى ﴿**مُرْدِفِينَ**﴾ يأتون فِرْقَةً بعد فِرْقة. (معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٤٠٢. ط عالم الكتب).

(٢) أي: الضمير المنصوب في قوله: ﴿**جَعَلَهُ**﴾ عائد إلى المصدر الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ**﴾ أي ما جعل جوابكم بهذا الكلام إلا ليبشركم، وإلا فقد كان يكفيكم أن يضمن لكم النصر دون أن يبين أنه بإمداد من الملائكة.

وفائدة التبشير بإمداد الملائكة أن يوم بدر كان في أول يوم لقي فيه المسلمون عدوًا قويًا وجيشًا عديدًا، فبشرهم الله بكيفية النصر الذي ضمنه لهم بأنه بجيش من الملائكة، لأن النفوس أميل إلى المحسوسات، فالنصر معنى من المعاني يدق إدراكه وسكون النفس لتصوره بخلاف الصور المحسوسة من تصوير مدد الملائكة ورؤية أشكال بعضهم. (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٩/ ٢٧٦ ط دار سحنون).

(إلا بُشْرَى)[1] [آل عمران: ١٢٦] إلا بشارة[2] لكم بالنصر (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) [الأنفال: ١٠] يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكيناً منكم وربطاً على قلوبكم (وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِندِ اللهِ) [آل عمران: ١٢٦].

(١) في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾ أي بشرى لكم، كما صرح بها في سورة (آل عمران). وقوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِندِ اللهِ﴾ أسلوب قصر بلاغي، طريقه: النفي والاستثناء من قصر الصفة على الموصوف في الآيتين.

* وفي حذف (لكم) هنا، وإثباتها في (آل عمران) مراعاة للمقام، فإن القصة في (آل عمران) مسهبة، وهنا موجزة، فناسب هنا الحذف. (مع بلاغة القرآن. صـ ٥٦).

(٢) قوله: إلا بشارة: إشارة إلى أنه مصدر منصوب على أنه مفعول من أجله. و (جعل) متعدِ لواحد، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ عطف عليه، وإنما جر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ باللام لاختلال شرط من شروط النصب، وهو عدم اتحاد الفاعل؛ فإن فاعل الجعل هو الله تعالى، وفاعل الاطمئنان القلوب، وجر المعطوف باللام لاختلال شرط، والتقدير: وما جعله الله إلا للبشرى وللطمأنينة. (راجع: حاشية الجمل على الجلالين ١/ ٣١٣ ط عيسى البابي الحلبي).

أي ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة، أو (وَمَا النَّصْرُ)[1] من الملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله، والمنصور من نصره الله.

واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل: نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه، وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي[2] رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم

(١) قوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ﴾ من الملائكة: عطف على لفظ: «لا تحسبوا»، و ﴿النَّصْرُ﴾ على هذا مُطلقٌ شائعٌ في جنسه، ولذلك قَدَّر «وغيرهم من الأسباب»، وعلى الأول مقيد بالملائكة المنزَلين بقرائن المقام، والجملة داخلة تحت الحسبان، نَزَّلهم لاعتمادهم على نُصْرَة الملائكة منزلَة من يزعم أن الملائكة هم الناصرون، فقصر الحكمَ على أن الكل أسباب لا فرق بينها، فقيل: ﴿وَمَا النَّصْرُ﴾ بالملائكة وغيرهم من الأسباب ﴿إِلا مِنْ عِندِ اللهِ﴾. (حاشية الطيبي على الكشاف ٧/ ٣٨).

* ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِندِ اللهِ﴾ تنبيه على أن الواجب على المسلم أن لا يتوكل إلا على الله في جميع أحواله ولا يثق بغيره فإن الله تعالى بيده الظفر والإعانة.

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي المكي المدني الكوفي، أمير المؤمنين ابن عم رسول الله ﷺ، وهو أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين وأول هاشمي ولد من هاشميين، وأول خليفة من بني هاشم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الخلفاء الراشدين، ضرب أروع الامثلة في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة، وهو أحد المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ، توفي في الكوفة ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين، وتوفي وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة على الأصح وقول الأكثرين. (راجع: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/ ٢٧٥ - ٢٨٢ ترجمة رقم (٥٧١٤) ط دار هجر، أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٤/ ٨٧ - ١١٧ ترجمة رقم (٣٧٨٩) ط دار الكتب العلمية).

ثياب بيض وعمائم[1] بيض قد أرخوا أذنابها[2] بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود: من أين كان يأتينا الضرب، ولا نرى الشخص، قال: من قبل الملائكة. قال: فهم غلبونا لا أنتم. وقيل: لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد[3] ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كافٍ في إهلاك أهل الدنيا. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾[4] [البقرة: ٢٠٩] بنصر أوليائه ﴿حَكِيمٌ﴾ بقهر أعدائه. ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ﴾ [الأنفال: ١١] بدل ثانٍ من ﴿يَعِدُكُمُ﴾[5] أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر.

(١) عمائم: جمع عمامة.

(٢) أذنابها: أي أطرافها، جمع ذنَب، المُذَنِّبُ: الذي بدا فيه الإرطاب من قِبَل ذنَبه: أي طرفه. (النهاية في غريب الحديث والأثر. ٢/ ١٧٠. ط المكتبة العلمية – بيروت).

(٣) السواد: أي الجماعة.

(٤) قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ مراعاة لأواخر الآي، وتعليل لما قبلها، متضمن للإشعار بأن النصر الواقع على الوجه المذكور – من آثار قوته القادرة – ومقتضيات الحكم البالغة. (تفسير أبي السعود ٤/ ٩ – بتصرف يسير. ط دار إحياء التراث العربي).

(٥) وهذا بناء على جواز تعدد البدل، وجمهور النحويين على عدم جواز تعدد البدل. (حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦ هـ) ١/ ١٧. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان. الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

(يُغَشِّيكُمُ) مدني (النُّعَاسَ) النوم والفاعل هو الله على القراءتين[1]. (يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ)[2] مكي[3]، وأبو عمرو[4] (ءَامِنَةً) مفعول له[5] أي إذ تنعسون أمنة بمعنى أمناً أي

---

(١) أي: يُنَعِّسُكُم الله تعالى أمنًا منه، أو يُغَشِّيكُمُ الله النُّعاسَ فتنعسون أمنًا، على أن عاملةَ مضمر، و ﴿**أَمَنَةً**﴾ بمعنى أمنًا.

(٢) أي (**يُغَشِّيَكُم**) – بضم الياء وفتح الغين وكسر الشين مشددة وبياء بعدها، وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي – و (**يُغْشِيكُم**) – بضم الياء وسكون الغين وتحقيق الشين وياء بعدها، وهي قراءة نافع – و (**يَغْشَاكُم**) – بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وألف بعدها لفظًا، وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير. (راجع: السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبي بكر بن مجاهد البغدادي ١/ ٣٠٤. ط دار المعارف).

(٣) هو عبد الله بن كثير بن المطلب، الإمام أبو معبد مولى عمرو بن علقمة الكناني الداري المكي، إمام المكيين في القراءة، وأحد القراء السبعة، ولد سنة أربع وخمسين من الهجرة وتوفي سنة عشرين ومائة من الهجرة. (غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٤٤٣ وما بعدها ط مكتبة ابن تيمية).

(٤) أبو عمرو: هو أبو عمرو بن العلاء المازني المقريء النحوي البصري الإمام، مقريء أهل البصرة، وهو أحد القراء السبعة المشهورين، ولد سنة ثمانٍ وستين، مات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة من الهجرة. (غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٨٨ وما بعدها).

(٥) فإن قلت: لِمَ قَصَرَ هاهنا على هذا، وجعل في «آل عمران»: تارة حالاً، وأخرى مفعولاً به، ومفعولاً له؟ أي في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا**﴾ قال الزمخشري: (نعاسًا بدل من أمنة، ويجوز أن يكون هو المفعول، و (أمنة) حالًا منه مقدمة عليه، أو مفعولًا له بمعنى نعستم أمنةً).

قلت: لأن ذلك المقام اقتضى الاهتمام بشأن الأمن، ولذلك قدَّمه وبسط الكلام في الأمن وإزالة الخوف، ألا ترى إلى سياق الآية وهو قوله: ﴿**فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا**﴾ [آل عمران: ١٥٣]، وسياقها وهو قوله: ﴿**يَغْشَى طَائِفَةً**﴾ إلى آخرها [آل عمران: ١٥٤]، حيث جعلها صفة لـ ﴿**نُعَاسًا**﴾ وختم الكلام بقوله: ﴿**لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ**﴾، كيف جعل الكلام كله في الأمن والخوف بخلافه هنا، لأنه في مقام تعداد النِّعم، فجيء بالقصة مختصرة للرمز. (فتوح الغيب للإمام الطيبي ٧/ ٣٩).

لأمنكم، أو مصدر أي فأمنتم أمنة فالنوم يزيح الرعب[1] ويريح النفس (مِنْهُ) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله[2] (وَيُنْزِلُ) بالتخفيف: مكي وبصري، وبالتشديد: وغيرهم[3] .....

(١) الرعب: الخوف.

(٢) أي في إسناد الأمن للنعاس مجاز بالاستعارة المكنية، شبه النعاس بشخص طالب للأمن، ثم خيل أنه إنسان بعينه، حيث أثبت له على سبيل الاستعارة التخييلية الأمنة التي هي من لوازم المشبه به، وجعل نسبتها إليه قرينة مانعة من إرادة الحقيقة، وفيه إغراق في الوصف، لأنه جعل النعاس الذي هو سبب للأمن بسبب غشيانه إياهم ملتمسًا للأمن منهم. (حاشية الطيبي على الكشاف ٧/ ٤٠).

(٣) قراءة (**وَيُنْزِلُ**) بالتخفيف قراءة متواترة، قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، وقرأ الباقون بالتشديد (**ويُـنَزِّلُ**). (النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/ ٢١٨ وما بعدها ط المكتبة التجارية الكبرى).

(عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً)[1] [الأنفال: ١١] مطراً (لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ) [الأنفال: ١١] بالماء[2] من الحدث والجنابة[3] (وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) [الأنفال: ١١] وسوسته إليهم[4] وتخويفه إياهم من العطش، أو الجنابة من الاحتلام، .....

(١) وتقديمُ الجار والمجرور ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ على المفعول به ﴿مَاءً﴾ للاهتمام بالمقدم والتشويقِ إلى المؤخَّر؛ فإنَّ ما حقُّه التقديمُ إذا أُخِّر تبقى النفسُ مترقبةً، له فعند ورودِه يتمكن عندها فضلُ تمكّنٍ وتقديمُ ﴿عَلَيْكُم﴾ لما أن بيانَ كونِ التنزيلِ عليهم أهمَّ من بيان كونه من السماء. (تفسير أبي السعود ٤/ ٩ ط دار إحياء التراث العربي).

(٢) يعني: الضمير في ﴿بِهِ﴾ للماء.

(٣) قال ابن جرير: (ذلك مطرٌ أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم، لأنهم كانوا أصبحوا يومئذ مُجْنِبين على غير ماء. فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا، وكان الشيطان قد وسوس إليهم بما أحزنهم به من إصباحهم مجنبين على غير ماء، فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر. فذلك ربطه على قلوبهم، وتقويته أسبابهم، وتثبيته بذلك المطر أقدامهم، لأنهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة – لينة سهلة – فلبَّدها المطر، حتى صارت الأقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها، توطئةً من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه، أسبابَ التمكن من عدوهم والظفر بهم. (تفسير الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ١٣/ ٤٢١. ط مؤسسة الرسالة).

* وعطف الجنابة على الحدث من عطف الخاص على العام؛ إذ الحدث يشمل الأصغر والأكبر، والجنابة هي الحدث الأكبر. (الفتوحات الإلهية ٢/ ٢٣١. ط دار المنار).

(٤) الرجز: في الأصل العذابُ الشديد أُريد به هنا نفس وسوسة الشيطان مجازًا لمشقتها على أهل الإيمان كما قيل: كل ما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز. (الفتوحات الإلهية ٢/ ٢٣١).

لأنه من الشيطان وقد وسوس إليهم أن لا نصرة مع الجنابة (وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ) [الأنفال: ١١] بالصبر[١] (وَيُثَبِّتَ بِهِ الاقْدَامَ) [الأنفال: ١١] أي بالماء إذ الأقدام كانت تسوخ في الرمل، أو بالربط[٢] لأن القلب إذا تمكن[٣] فيه الصبر يثبت القدم في مواطن القتال . . . . .

---

(١) الربط معناه الشَّدُّ، يقال: كل من صبر على أمرٍ رَبَطَ قلبه، والمعنى: وليربط على قلوبكم بما أنزل من الماء، فتثبُت ولا تضطرب بوسوسة الشيطان. (الوسيط للواحدي. ٢/ ٤٤٧ ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان).

وفي قوله: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ استعارة تبعية في (ليربط)؛ فإن حقيقة الربط الشد في الأجسام وهو لا يناسب القلوب حقيقة، فاستعير منها لما حصل في القلب من الشدة والطمأنينة بعد التزلزل، ثم اشتق منه يربط بمعنى يطمئن ويرسخ على طريق الاستعارة التبعية في الفعل. (مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٥٧).

(٢) الضمير في (به) يجوز أن يكون للماء ويجوز أن يكون للربط.

(٣) استفيد التمكن من التعبير بـ (على) في قوله تعالى: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ لإفادتها في الأصل معنى الاستعلاء، الذي يراد به هنا معنى التمكين.

وفي التعبير بحرف (على) هنا مجاز، لعدم صلاحية المعنى الحقيقي الذي هو الاستعلاء الحسي، وهذا المجاز يحتمل أن يكون استعارة تصريحية تبعية أو استعارة مكنية أو استعارة تمثيلية، فعلى أنه استعارة تصريحية تبعية فقد شبه تمكن قوة قلوبهم وإزالة اضطرابها بتمكن الراكب من دابته بجامع مطلق التمكن في كل، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو (على) للمشبه وهو: تمكن قوة قلوبهم والشد عليها وإزالة اضطرابها وارتيابها على سبيل الاستعارة التصريحية للتصريح بالمشبه به، تبعية: باعتبار أنها جرت في الحرف (على) بعد حصول التشبيه في متعلَّقه، فسميت تبعية لأنها تبعت تشبيهًا سابقًا عليها.

* وعلى أنها مكنية: فقد شبه ربط قلوب المؤمنين بشيء يُعلى عليه بجامع التمكن وشدة التمكن في كل ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من خواصه ولوازمه وهو لفظ (على).

* وعلى أنها استعارة تمثيلية: فقد شبه حال المؤمنين في ملابستهم لربط قلوبهم بحال من يعلو الشيء ويستولي عليه بجامع التمكن في كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه، وسميت تمثيلية لأنها جرت في التركيب كله لا في اللفظ المفرد.

وفي مجيء هذه التعليلات: براعة؛ حيث بدأ أولًا: منها بالتعليل الظاهر وهو تطهيرهم من الجنابة، ثم عطف بلام العلة ما ليس بفعل جسماني وهو فعل محله القلب وهو التشجيع، والاطمئنان، =

(إِذْ يُوحِي) [الأنفال: ١٢] بدل ثالث من (يَعِدُكُمُ) أو منصوب بـ (يُثَبِّتُ)[1] . . .

=والصبر على اللقاء، وعطف عليه بغير لام العلة ما هو من لازمه وهو كونهم لا يفرون وقت الحرب، فحين ذكر التعليل الظاهر الجسماني، والتعليل الباطني القلبي ظهر حرف التعليل، وحين ذكر لازمها لم يؤكد بلام التعليل، وابتدأ بالتطهير لبيان أنه الآكد والأسبق في الفعل ولأنه الذي تؤدى به أفضل العبادات وتحيا به القلوب. (مع بلاغة القرآن د/ عبد الحميد العبيسي. صـ ٥٧).

(١) قوله: ﴿إِذْ يُوحِي﴾ منصوبٌ بمضمر مستأنفٍ خوطب به النبيِّ ﷺ؛ إذ المعنى: اذكر وقت إيحائه تعالى إلى الملائكة. وقيل منصوب بقوله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ فلا بد حينئذٍ من عود الضميرِ المجرورِ في قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ إلى الربط على القلوب؛ ليكون المعنى ويثبتَ أقدامَكم بتقوية قلوبِكم وقتَ إيحائِه إلى الملائكة وأمرِه بتثبيتهم إياكم وهو وقتُ القتال ولا يخفى أن تقييد التثبيت المذكورِ بوقت مبْهمٍ عندهم ليس فيه مزيدُ فائدةٍ، وأما انتصابُه على أنه بدلٌ ثالثٌ من (إذ يعدكم) كما قيل فيأباه تخصيصُ الخطاب به ﷺ مع ما عرفتَ من أنَّ المأمورَ به ليس من الوظائف العامةِ للكل كسائر أخواتِه. (تفسير أبي السعود ٤/ ١٠).

(رَبُّكَ[1] إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ) [الأنفال: ١٢] بالنصر[2] (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا) [الأنفال: ١٢] بالبشرى وكان الملك يسير أمام الصف في صورة رجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم[3] (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) [الأنفال: ١٢] هو امتلاء القلب من الخوف[4] . . .

(١) وفي التعرض لعنوان الربوبية وإضافته إلى ضمير النبي ﷺ ليوافق أسلوب ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ولما فيه من التنويه بقدر نبيه ﷺ إشارة إلى أنه فعل ذلك لطفًا به ورفعًا لشأنه. (التحرير والتنوير ٩/ ٢٨٠).

(٢) المعية في قوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ معية مجازية، تمثيل للعناية والحفظ والنصر، فيكون معناها توجه عنايته إليهم وتيسير العمل لهم، وإيحاء الله إلى الملائكة بهذا مقصود منه تشريفهم وتشريف العمل الذي سيكلفون به، لأن المعية تؤذن إجمالًا بوجود شيء يستدعي المصاحبة، فكان قوله لهم: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ مقدمة للتكليف بعمل شريف ولذلك يذكر ما تتعلق به المعية لأنه سيُعلم من بقية الكلام، أي أني معكم في عملكم الذي أكفلكم به. (التحرير والتنوير ٦/ ١٤١، ٩/ ٢٨١).

(٣) قوله: (بالبشرى وكان...) بيان لكيفية هذه التقوية والتثبيت من الملائكة للمؤمنين.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. مادة (رعب). تحقيق: محمد سيد كيلاني. ١/ ١٩٧ ط دار المعرفة.

و (الرُّعُبَ) شامي وعلي[1] (فَاضْرِبُوا) أمر للمؤمنين أو الملائكة[2]، وفيه دليل على أنهم قاتلوا[3].

---

(١) أي: قرأ ابن عامر الشامي وعلي الكسائي بضم العين (الرُّعُب)، وقرأ الباقون بإسكانها (الرُّعْب). فالحجة لمن أسكن أن الأصل الضم فثقل عليه الجمع بين ضمتين متواليتين فأسكن، والحجة لمن ضم أن الأصل عنده الإسكان فأتبع الضم الضم ليكون اللفظ في موضع واحد. (الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه. تحقيق: د/ عبد العال سالم مكر. ١/ ١١٤. ط دار الشروق – القاهرة).

(٢) وخطاب ﴿**فَاضْرِبُوا**﴾ للمؤمنين، وعلى غير التلقين للملائكة؛ نظرًا إلى الاختلاف في أن الملائكة هل قاتلوا يوم بدرٍ. (حاشية السعد. صـ ٢٦٦).

* وضرب الملائكة يجوز أن يكون مباشرة بتكوين قطع الأعناق والأصابع بواسطة فعل الملائكة على كيفية خارقة للعادة، وقد ورد في بعض الآثار عن بعض الصحابة ما يشهد لهذا المعنى، فإسناد الضرب حقيقة، ويجوز أن يكون بتسديد ضربات المسلمين وتوجيه المشركين إلى جهتها، فإسناد الضرب إلى الملائكة مجاز عقلي لأنهم سببه. (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٩/ ٢٨٣ ط دار سحنون).

(٣) أخرج الإمام الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي أمامة بن سهل قال: قَالَ لِي أَبِي: يَا بُنَيَّ، لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنَّ أَحَدَنَا يُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى رَأْسِ الْمُشْرِكِ فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ. (المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم ٣/ ٤٦٣. ح رقم ٥٧٣٦)، وعلق عليه الحاكم بقوله: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ط دار الكتب العلمية – بيروت.

* ويدل عليه أيضًا: حديث صحيح الإمام مسلم السابق ذكره وفيه: «أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ». صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم ٣/ ١٣٨٣ حديث رقم (٥٨).

(فَوْقَ الأَعْنَاقِ) [الأنفال: ١٢] أي أعالي الأعناق[١] التي هي المذابح تطييراً للرؤوس، أو أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام (وَاضْرِبُوا[٢] مِنْهُمْ كُلّ بَنَانٍ) [الأنفال: ١٢] هي الأصابع[٣] يريد الأطراف، .....

(١) قوله (أعالي الأعناق): تفسير لـ **(فَوْقَ)** وجعل **(فَوْقَ)** مفعولًا به على الاتساع لأنه عبارة عن الرأس كأنه قيل: فاضربوا رؤوسهم وهذا ليس بجيد لأنه لا يتصرف، وقد زعم بعضهم أنه يتصرف وأنك تقول: فوقُك رأسك برفع فوقك، وقيل: بأن فوق باقية على ظرفيتها، والمفعول محذوف أي: فاضربوهم فوق الأعناق، علَّمَهم كيف يضربونهم. (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٥/ ٥٧٨. تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط. ط دار القلم).

(٢) في تكرير الأمر بالضرب: تقرير لمزيد التشديد، والاعتناء بأمره.

(٣) اختلف اهل اللغة في البنان، فقيل: هو الأصابع واحده بنانة، وقيل: إطلاقه عليها مجاز مرسل من تسمية الكل بالجزء، وقيل: هي المفاصل، وقيل: هي مخصوصة باليد، وقيل: تعم اليد والرِّجْل، وقيل: بنام - بالميم - وأشار المصنف بقوله: يريد الأطراف إلى أن المراد بالبنان مجازًا مطلق الاطراف لوقوعه في مقابلة الأعناق والـمَقَاتِل، إذ المراد: اضربوهم كيف ما اتفق من المقاتل وغيرها، وإنما خصت لأجل أنهم بها تقاتل وتدافع. (المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. مادة (بن. ١/ ٦٢. ط دار المعرفة، حاشية الشهاب ٤/ ٢٥٨، والإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي. تأليف: الشيخ/ محمد عبد الحق ابن شاه الهندي. ٣/ ٥٥٠. ط دار الكتب العلمية).

والمعنى فاضربوا المقاتل والشوي[1] لأن الضرب إما أن يقع على مقتل أو غير مقتل.

فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين[2] (ذَلِكَ) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل[3] وهو مبتدأ خبره (بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا اللَّه[4] وَرَسُولَهُ)[5] [الأنفال: ١٣] .....

(١) الشَّوَي: كل ما ليس بمقتل، يقال: رمَاهُ فأشواهُ، أي: أصاب شواهُ، ولم يُصِبْ مقتَلَهُ، والشَّوى: اليَدان، والرِّجْلان، والرأس من الإنسان. (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. مادة: شوا. ١/ ٣٢٨. ط المكتبة العلمية - بيروت، ولسان العرب لابن منظور. مادة شوا. ٤/ ٢٣٦٨. ط دار المعارف).

(٢) قوله: (فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين): وفائدته: الضربُ المتواترُ بلا تحاشٍ. (حاشية الطيبي على الكشاف ٩/ ٤٧).

(٣) وإفراد اسم الإشارة بتأويله بالمذكور، وجاء بالبعيد للإيذان ببعد درجة المشار إليه في الشدة والفظاعة.

(٤) في قوله تعالى: ﴿**شَاقُّوا اللَّه...** ﴾ مجاز بالحذف؛ إذ التقدير: شاقوا اولياء الله وهم المؤمنون، أو شاقوا دين الله. (مع بلاغة القرآن. عبد الحميد العبيسي. صـ ٥٧).

(٥) وجملة: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّه وَرَسُولَهُ**﴾ تعليل لأن الباء في قوله: ﴿**بِأَنَّهُمْ**﴾ باء السببية فهي تفيد معنى التعليل ولهذا فصلت الجملة. (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٩/ ٢٨٤).

أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أي مخالفتهم وهي مشتقة من الشق[1] لأن كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه، وكذا المعاداة والمخاصمة لأن هذا في عُدوة[2] وخصم أي جانب وذاك في عدوة وخصم (وَمَن يُشَاقِقِ اللَّه وَرَسُولَهُ[3] فَإِنّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الأنفال: ١٣] والكاف في ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد، وفي (ذَلِكُمْ) للكفرة على طريقة الالتفات[4]، ومحله الرفع على «ذلكم العقاب[5] أو العقاب[6]» (ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ) [الأنفال: ١٤].

(١) من الشق - بكسر الشين - وهو الجانب، يقال: شق فلان العصا أي فارق الجماعة، وانشق العصا: أي تفرق الأمر، والمشاقة والشقاق: الخلاف والعداوة. (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. مادة: شقق. ٤/ ٥٠٣. ط دار العلم للملايين.

(٢) العُدوة - بضم العين وكسرها -: جانب الوادي وحافته قال الله تعالى: ﴿**وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى**﴾. مختار الصحاح. تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. تحقيق: محمود خاطر. مادة: عدو. ١/ ١٧٦. ط مكتبة لبنان - بيروت.

(٣) في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ اللَّه وَرَسُولَهُ**﴾ إظهار في موضع الإضمار؛ لتربية المهابة، وإظهار كمال شناعة ما اجترأوا عليه، والإشعار بعلة الحكم. (تفسير أبي السعود. ٤/ ١١. ط دار إحياء التراث العربي - بيروت).

(٤) الالتفات من الغيبة في قول الله: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّه وَرَسُولَهُ**﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿**ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ**﴾ ليكون أبلغ في التهكم بهم والزجر لهم.

(٥) على هذا يكون قوله: ﴿**ذَلِكُمْ**﴾ مبتدأ. خبره: (العقاب).

(٦) على هذا يكون قوله: ﴿**ذَلِكُمْ**﴾ خبرًا مقدمًا، و (العقاب) يكون مبتدأً مؤخرًا، وعلى هذا يكون في ﴿**ذَلِكُمْ**﴾ إيجاز بالحذف؛ إذ التقدير: ذلكم العقاب أو العقاب لكم.

والواو في (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) [الأنفال: ١٤] بمعنى «مع»[(١)] أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير[(٢)].

(١) حرف (الواو) له معانٍ كثيرة في اللغة؛ منها: أنه يأتي بمعنى (مع) وتسمى واو المعية وهي التي تنصب المفعول به، نحو: ما هاهنا. (ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي. ١/ ١٥٣ وما بعدها. ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان. المحقق: د/ فخر الدين قباوة، والأستاذ/ محمد نديم فاضل).

(٢) وضع الاسم الظاهر (الكافرين) موضع الضمير (لكم) في قوله: (ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) شهادة عليهم بالكفر وتنبيهًا على العلة، وللدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وفيه توبيخهم بالكفر. (حاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٢٣٣).

* قال العلامة الطيبي في حاشيته على الكشاف: «وفائدة وضع الظاهر موضع المضمر هنا الإشعار بأن صفة الكفر هي الموجبة لإذاقة العذاب في الدارين، وفائدة التذييل أن يُقال: أيها الكفار، إن العذاب في الدنيا من ضرب الأعناق وقطع الأطراف لكم خاصة فذوقوه، ثم الأمر في الآخرة أن تدخلوا في زمرة الجاحدين المخلَّدين في عذاب النار». (حاشية الطيبي على الكشاف ٧/ ٤٩).

* وفي قوله: (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) أيضًا قصر بلاغي، طريقه: التقديم من قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقيًا. (مع بلاغة القرآن للعبيسي. صـ ٨٥).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا) حال[1] من (الَّذِينَ كَفَرُوا). والزحف الجيش الذي يُرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيباً من زحف الصبي إذا دب على استه قليلاً قليلاً سمي بالمصدر[2].

(فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ[3]) [الأنفال: ١٥] فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال

---

(١) قوله: ﴿زَحْفًا﴾ حال من المفعول به وهو (الذين) فهو مؤول بالمشتق أي حال كونهم زاحفين. (حاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٢٣٤).

(٢) بيَّن الإمام النسفي المعنى الأصلي للزحف بقوله: (من زحف الصبي إذا دب على استه قليلًا قليلًا)، ثم بيَّن إطلاق كلمة زحف على الجيش الكثير بقوله: (والزحف الجيش الذي يُرى لكثرته).

ففي قوله: ﴿زَحْفًا﴾ استعارة أصلية تصريحية؛ حيث شبه مشي الطائفتين في ذهاب كلٍ لصاحبتها للقتال مشيًا بزحف الصبي على مِقعدته ثم حُذف المشبه واستعير المشبه به للمشبه.

(٣) الدبر: الظهر، ويقال: ولَّاه دبره: انهزم أمامه والاست ومن كل شيء عقبه ومؤخره [ج] أدبار. (المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. مادة: دبر. ١/ ٢٦٩. ط دار الدعوة).

* وفي قوله: ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ أسلوب إنشائي، طريقه: النهي، والغرض البلاغي منه: التقبيح والتشنيع، وفي هذا النهي أمر بالثبات والمصابرة. (البحر المحيط لأبي حيان. ٤/ ٣٨٦ - بتصرف. ط دار الفكر).

* وفي التعبير بلفظ ﴿الأَدْبَارَ﴾ دون الظهور تعريض حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها، فأتى بلفظ الدُّبر دون الظهر لذلك. (حاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٢٣٤).

وهم كثير وأنتم قليل، فلا تفروا فضلاً أن تدانوهم في العدد أو تساووهم[1]، أو حال من المؤمنين[2]، أو من الفريقين[3] أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم. ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا[4]﴾ [الأنفال: ١٦] مائلاً ﴿لِّقِتَالٍ﴾ هو الكر بعد الفر[5] يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ [الأنفال: ١٦] منضماً[6].

---

(١) وهذه الآية محكمة فحرم الفرار عند اللقاء بكل حال، وقيل: كان هذا في ابتداء الإسلام حيث كان الأمر بالمصابرة أن يواقف مسلم عشرة كفار ثم خفف فجعل واحدًا في مقابلة اثنين. (البحر المحيط في التفسير ٤/ ٣٨٦).

(٢) أي ﴿زَحْفًا﴾ حال من الفاعل، أي وأنتم زَحْفٌ من الزحوف، أي: جماعة، أو ﴿زَحْفًا﴾ وأنتم تمشون إليهم قليلًا قليلًا. (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٥/ ٥٨٣ ط دار القلم).

(٣) أي: ﴿زَحْفًا﴾ حال من الفاعل والمفعول أي: لقيتموهم متزاحفين بعضكم إلى بعض. (الدر المصون للسمين الحلبي ٥/ ٥٨٣).

(٤) يقال: انحرف وتحرَّف. والاحتراف: طلب حرفة للمكسب. والحِرْفَةُ: الهيئة التي يلزمها في ذلك كالذِّبْحَة والجِلْسة. وقوله تعالى: ﴿إِلا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ أي: مائلًا إليه. وقيل: مستطردًا يريد الكرَّة. (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ١/ ٣٩٣. ط دار الكتب العلمية).

(٥) الكَرُّ: من كرَّ على العدو إذا حمل عليه، والفَرُّ: الرجوع. (حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٤/ ٢٥٩).

(٦) حيز: هو كل جمع منضم بعضه إلى بعض. (المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد. مادة: حيز. ١/ ١٣٦. ط دار المعرفة).

(إِلَى فِئَةٍ) [الأنفال: ١٦] إلى جماعة من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما[١] حالان من ضمير الفاعل في (يُوَلِّهِمْ) (الْمَصِيرُ) ووزن متحيز «متفيعل» لا «متفعل»[٢]، لأنه من حاز يحوز، فبناء متفعل منه متحوز[٣]. ولما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخراً قتلت وأسرت قيل لهم[٤] (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ[٥] اللَّه قَتَلَهُمْ) [الأنفال: ١٧] والفاء جواب لشرط محذوف تقديره[٦]: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم.

ولما قال جبريل للنبي ^: خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم، .....

(١) أي قوله: ﴿مُتَحَرِّفًا﴾ و ﴿مُتَحَيِّزًا﴾.
(٢) لأنه لو كان كذا لكان متحوزًا، فأما متحوز فمتفعِّل.
(٣) والأصل مُتَحَيْوِز. فاجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الياء واوًا وأدغمت في الياء بعدها كـ (مَيِّت). (الدر المصون للمسين الحلبي ١/ ٢٠٨٨).
(٤) هذا بيان لسبب نزول قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّه قَتَلَهُمْ﴾.
(٥) في مجيء ﴿وَلَكِنَّ﴾ أحسن مجيء لكونها بين نفي وإثبات؛ فالمثبت لله هو المنفي عنهم وهو: حقيقة القتل.
(٦) وهذه الفاء تسمى بفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. وضعف هذا الرأي الإمام أبو حيان بقوله: «وليست هذه الفاء جواب شرط محذوف كما زعم، وإنما هي للربط بين الجمل لأنه لما قال: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ كان امتثال ما أمروا به سببًا للقتل فقيل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي لستم مستبقبلين بالقتل؛ لأن الأقدار عليه والخالق له، إنما هو الله ليس للقاتل فيها شيء لكنه أجري على يده فنفى عنهم إيجاد القتل وأثبت لله». (البحر المحيط في التفسير ٤/ ٣٨٨ ط دار الفكر).

وقال «شاهت الوجوه» فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا قيل (وَمَا رَمَيْتَ)[1] [الأنفال: ١٧] يا محمد (إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّه رَمَى) [الأنفال: ١٧] يعني أن الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة، لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر، ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم[2]، وفي الآية بيان أن فعل العبد مضاف إليه كسباً وإلى الله تعالى خلقاً والمعتزلة، لأنه أثبت الفعل من العبد بقوله (إِذْ رَمَيْتَ) [الأنفال: ١٧] ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله (وَلَكِنَّ اللَّه رَمَى) [الأنفال: ١٧]، (وَلَكِنَّ اللَّه قَتَلَهُمْ) [الأنفال: ١٧]، (وَلَكِنَّ اللَّه رَمَى)[3] [الأنفال: ١٧] بتخفيف (لَكِنِ) شامي وحمزة وعلي[4] .....

(١) هذا بيان لسبب النزول أخرجه الإمام الطبري في المعجم الكبير ٣/ ٢٠٣ ح رقم (٣١٢٨). تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط مكتبة الزهراء. وعلق عليه الهيثمي بقوله: «إسناده حسن». (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لـ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. ١/ ١١٢. ح رقم (٩٩٩٨). ط دار الفكر).

(٢) قوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّه رَمَى﴾ ظاهره التناقض حيث جمع بين النفي والإثبات والجواب أن المنفي الرمي بمعنى إيصال الحصى لأعينهم والمثبت فعل الرمي وهذا الجواب هو ما أشار إليه الإمام النسفي بقوله: «حيث أثرت ذلك الأثر العظيم». (حاشية الجمل ٢/ ٢٣٥).

(٣) هذا صريح في مذهب أهل السنة، قال الإمام الفخر الرازي: «أثبت كونه عليه السلام راميًا ونفى عنه كونه راميًا فوجب حمله على أنه رماه كسبًا وما رماه خلقًا». (مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٥/ ١١٢. ط دار الكتب العلمية).

(٤) أي: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتخفيف نون ﴿وَلَكِنِ﴾ وكسرها ورفع بعدها والباقون بفتح النون مشددة ونصب ما بعدها. (التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ١/ ٧٥ ط دار الكتاب العربي).

(وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ) [الأنفال: ١٧].

وليعطيهم[1] (مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا) [الأنفال: ١٧] عطاء جميلاً، والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل إلا لذلك.

(١) يقال: بلوته أي اختبرته، ويكون في الخير والشر. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]. فالبلاء يكون حسنا ويكون سيئًا. وأصله المِحْنةُ، والله تعالى يبتلي عبده بالصُّنْع الجميل لِيمتحِن شُكرَه ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبرَه. (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي. مادة: بلو. ١/ ٢٦٣ وما بعدها. ط عالم الكتب).

* قال الطيبي: الظاهر أن يفسَّر قوله: ﴿بَلاءً حَسَنًا﴾ بالإبلاء في الحرب، «في حديث سعد يوم بدر: «عسى أن يُعطى هذا من لا يُبلي بلائي»، أي: لا يعمل مثلَ عملي في الحرب، كأنه يريد: أفعلُ فِعلاً أُختَبر فيه، ويظهر به خيري وشَرِّي، لما أنه في مقابل توهين كيد الكافرين كما قال، لأن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين، المعنى: ما فعل الله القتل والرمي إلا ليعطي المؤمنين منه – أي: بسبب ذلك – قوةً ونجدةً، وإلا ليوهن أمر الكافرين ويبطل كيدهم.

ويمكن أن يوجه قول المصنف بحمل العطاء على ما ذكرنا، لأن العطاء الحسن في مقام الحرب النجدة والقوة، وأما توسيط ﴿ذَلِكُمْ﴾ بين الإعطاء والتوهين؛ فلبعدهما من العطاءين». (فتوح الغيب للعلامة الطيبي ٧/ ٥٦).

(إِنّ اللَّه سَمِيعٌ)[1] [الحج: ٧٥] لدعائهم (عَلِيمٌ) بأحوالهم (ذَلِكُمْ) إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الأمر ذلكم[2] (وَأَنّ اللَّه مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ) [الأنفال: ١٨] معطوف على[3] (ذَلِكُمْ)[4] أي المراد إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين. (مُوهِنٌ كَيْدَ) [الأنفال: ١٨] شامي[5] وكوفي غير حفص[6]. (مُوهِنُ كَيْدِ) [الأنفال: ١٨] حفص، (مُوَهِّنٌ كَيْدَ) غيرهم[7].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: إطناب بالتذييل؛ لتعليل الحكم، وتقريره لدى السامعين. (مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٦٦).

(٢) أي: ﴿ذَلِكُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدَّره بقوله: «الأمر ذلكم».

(٣) أي: قوله ﴿وَأَنّ اللَّه مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ معطوف على ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: عطف خبر على خبر، ويجوز أن يكون عطف جملة، أي: الغرض ذلكم، والغرض أن الله موهن. (حاشية الطيبي على الكشاف ٧/ ٥٦).

(٤) وإفراد اسم الإشارة مع كون المشار إليه اثنين على تأويل المشار إليه بالمذكور. (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٩/ ٢٩٧. ط دار سحنون).

(٥) شامي: أي ابن عامر الشامي.

(٦) كوفي غير حفص: أي شعبة وحمزة والكسائي.

(٧) اختلفوا في فتح الواو وإسكانها وتشديد الهاء وتخفيفها من قوله جل وعز: ﴿وَأَنّ اللَّه مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ فقرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو بفتح الواو وتشديد الهاء وتنوين النون وفتح الدال ﴿مُوَهِّنٌ﴾ وينصبون ﴿كَيْدَ﴾.

- وقرأ حفص عن عاصم وحده بإسكان الواو وتخفيف الهاء مع الكسر من غير تنوين سوى ضمة النون، وخفض ﴿كَيْدِ﴾.

- وقرأ الباقون بفتح الواو وتشديد الهاء مع كسرها وينونون، وينصبون ﴿كَيْدَ﴾. (كتاب الإرشاد في القراءات عن الأئمة السبعة. تأليف: أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون المقرئ ٢/ ٦٥٤. تحقيق: د/ باسم بن حامد السيد. طبعة جائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن =

(إن تَسْتَفْتِحُوا[1] فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) [الأنفال: ١٩] إن تستنصروا فقد جاءكم النصر[2] عليكم وهو خطاب لأهل مكة[3]، .....

=للعسكريين، الحجة للقراء السبعة. المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي. المحقق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي. ٤/ ١٢٧. ط دار المأمون للتراث).

* فمن قرأ بالتشديد أخذه من (وهّن فهو موهّن). ومن خفف أخذه من (أوهن فهو موهن) وهما لغتان، والتشديد أبلغ وأمدح. (الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه. تحقيق: د/ عبد العال سالم مكرم. ١/ ١٧٠. ط دار الشروق - بيروت).

(١) التعبير بصيغة المضارع في ﴿**تَسْتَفْتِحُوا**﴾ بصيغة المضارع مع أن الفعل مضى لقصد استحضار الحالة من تكريرهم الدعاء بالنصر على المسلمين، وبذلك تظهر مناسبة عطف ﴿**وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ أي تنتهوا عن كفركم بعد ظهور الحق في جانب المسلمين. (التحرير والتنوير ٩/ ٢٩٩ ط دار سحنون).

(٢) الفتح: (فَتَحَ): أصل يدل على خلاف الإغلاق، يقال: فتحتُ الباب فتحًا. والفتح: الحكم والنصر، والظَّفَر. (معجم مقاييس اللغة. مادة فتح. ٤/ ٤٦٩ ط دار الفكر).

(٣) وعلى كون الخطاب في قوله: ﴿**جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾ للكافرين: يكون الكلام على سبيل الاستعارة وهي استعارة عنادية تهكمية.

ويقال في إجرائها: نزل التضاد منزلة التناسب؛ حيث أريد من ﴿**جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾ جاءتكم الهزيمة؛ فشبه الهزيمة والهلاك بالفتح والنصر، بجامع تحقق النصر والظفر في كل، وإن كان تنزيليًا بالنسبة للمشبه، ثم استعير اسم الفتح للهزيمة؛ بسبب إدخال الهزيمة في جنس الفتح والنصر على طريق الاستعارة التصريحية العنادية التهكمية. (مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٦٦).

لأنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة قالوا: اللهم إن كان محمد على حق فانصره، وإن كنا على الحق فانصرنا .

وقيل: (إِن تَسْتَفْتِحُوا) خطاب للمؤمنين (وَإِنْ تَنْتَهُوا) للكافرين أي (وَإِنْ تَنتَهُوا) عن عداوة رسول الله ﷺ (فَهُوَ) أي الانتهاء (خَيْرٌ لَّكُمْ) وأسلم (وَإِن تَعُودُوا) [الأنفال: ١٩] لمحاربته (نَعُدْ) لنصرته عليكم (وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ) [الأنفال: ١٩] جمعكم[1] (شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ) عدداً (وَأَنّ اللَّه مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)[2] .....

(١) الفئة: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التعاضد. (المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسن بن محمد. مادة: فيأ. ١/ ٣٨٩. ط دار المعرفة).

(٢) في تذييل الآية بهذا الختام زيادة في تأييس المشركين من النصر وتنويه بفضل المؤمنين بأن النصر الذي انتصروه هو من الله بأسبابهم فإنهم دون المشركين عددًا وعُدة.

* وفي قوله: (وَأَنّ اللَّه مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) إظهار في مقام الإضمار، لأن مقتضى الظاهر أن يقال: وإن الله معكم، مقول عن الاسم الظاهر للإيماء إلى أن سبب عناية الله بهم هو إيمانهم. (التحرير والتنوير ٩/ ٣٠٠ وما بعدها ط دار سحنون).

بالفتح مدني وشامي وحفص.

أي ولأن الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك، وبالكسر غيرهم[1] ويؤيده قراءة عبد الله[2] و (اللَّه مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)[3] [الأنفال: ١٩] (الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّه وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ) عن رسول الله ﷺ، لأن المعنى أطيعوا رسول الله كقوله: (وَاللَّه وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ) [التوبة: ٦٢] ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) [النساء: ٨٠] فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقوله «الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان» أو يرجع الضمير إلى الأمر[4] بالطاعة .....

(١) قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّه مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قرأ بالفتح نافع وابن عامر وحفص، والباقون بالكسر. (التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ١/ ١١٦ ط دار الكتاب العربي).

(٢) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) قراءة (والله مع المؤمنين) ليست قراءة متواترة، ولم أقف عليها في مظانها، وذكرها ابن عطية وأبو حيان عن ابن مسعود رضي الله عنه. (المحرر الوجيز لابن عطية ٢/ ٥٨٧ ط دار الكتب العلمية، والبحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٣٩٠ ط دار الفكر).

(٤) أي رجوع الضمير في ﴿عَنْهُ﴾ للأمر بطاعة الله وطاعة الرسول، المفهوم من الفعل ﴿أَطِيعُوا﴾، أي: لا تتولوا عن الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ، وعليه: فلا إشكال في إفراد الضمير؛ لأنه راجع إلى مفرد. (راجع: حاشية القونوي ومعه حاشية ابن التمجيد ٩/ ٤٨).

أي ولا تولوا عن هذا الأمر وأمثاله، وأصله ولا تتولوا فحذف إحدى التاءين تخفيفاً (وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ)[1] [الأنفال: ٢٠] أي وأنتم تسمعونه، أو ولا تتولوا عن رسول الله ﷺ[2] ولا تخالفوه . . .

---

(١) قوله: ﴿**وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾ جملة حالية واردة لتأكيد وجوب الانتهاء من التولي مطلقًا كما في قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢]. لا لتقييد النهي عنه بحال السماع، كما في قوله تعالى: ﴿**لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى**﴾ [النساء: ٤٣]. أي: لا تتولوا عنه والحال أنكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم وإذعان. (تفسير أبي السعود ٥/ ١٥ ط دار إحياء التراث العربي).

(٢) قوله: (ولا تتولوا عن رسول الله ﷺ) عطف على قوله: (ولا تتولوا عن هذا الأمر)، وكلاهما نَشرٌ لتقرير عود الضمير إما إلى الأمر بالطاعة أو إلى الرسول ﷺ، ولكن على غير ترتيب، ومعنى السماع في ﴿**وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾ على أن يعود الضمير إلى الأمر بالطاعة: على الحقيقة، وعلى العود إلى الرسول ﷺ: مجاز عن التصديق.

واعلم أنه قد سبق أن هذه السورة الكريمة مشتملة على تشديد أمر طاعة الرسول ﷺ، وتحريض أصحابه رضوان الله عليهم على الانقياد لأمره والامتناع عن مخالفته، فلما ذكر في مفتتح السورة: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: ١]، وساق حديث قصة بدر، وأطال الكلام فيها، كرَّ إلى ما بدأ به، وشدد فيه غاية التشديد، حيثُ جعل طاعة الرسول ﷺ طاعة الله عز وجل، وعقب الأمر بالطاعة النهي عن المخالفة بقوله: ﴿**وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ**﴾، ثم أكده بالتذييل التشبيهي، وهو ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا**﴾، ثم تمَّم المعنى على المبالغة بضرب المثل ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ**﴾. ويؤيد ما ذكرنا أن في الآية كَرًّا إلى المعنى الأول. (حاشية الطيبي ٧/ ٥٩).

وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة.

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا)(١) **[الأنفال: ٢١] أي ادَّعوا السماع**(٢) **وهم المنافقون وأهل الكتاب (وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ)**(٣) **[الأنفال: ٢١] لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين، والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن.**

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ صورة تشبيهية؛ فالمشبه به هم المنهيون من المؤمنين، والمشبه به هم: اليهود أو المنافقون، أو المشركون، ووجه الشبه: انتفاء ثمرة السماع في كلٍ.

أو يقال: أنه شبه سماع المنهيين من المؤمنين بسماع من لا يصدق بجامع عدم الجدوى في كلٍ. (مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٦٧).

(٢) قوله: ﴿كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي قالوا ذلك ادِّعاءً، والمنفي عنهم السماع المطابق للواقع من التدبر والاتعاظ. (حاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٢٣٦).

(٣) قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ جاءت الجملة النافية ﴿وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ على غير لفظ المثبتة؛ إذ لم تأتِ (وهم ما سمعوا) لأن لفظ المعنى لا يدل على استمرار الحال، ولا ديمومته، بخلاف نفي المضارع؛ فكما يدل على إثباته على الديمومة في قولهم: (هو يعطي ويمنع) كذلك يجيء نفيه.

* وجيء بحرف النفي (لا) لأنها أوسع في نفي المضارع من (ما)، وأدل على انتفاء السماع في المستقبل أي: هم ممن لا يقبل أن يسمع. (مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد محمد العبيسي. صـ ٦٧).

الخاتمة

أهم نتائج البحث:

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي:

١ - أن الإمام النسفي رَحِمَهُ اللَّهُ اتخذ كتاب (الكشاف) أصلًا له، غاية الأمر أنه حذف منه أسلوب السؤال (فإن قلت: قلت) فأتقن إتقانه، ووفق توفيقه، ونرى أن تفسيره سالم من الدسائس الاعتزالية، ويتبع منهج أهل السنة والجماعة.

٢ - أن تفسير الإمام النسفي تفسير عظيم القيمة، يطوي المعاني الكثيرة في أوجز العبارات، لذلك يجب على المتخصصين أن يتناولوه بالشرح والتوضيح.

٣ - يُقدمُ الإمام النسفي تفسير السورة بمقدمة؛ حيث يتحدث عن اسم السورة، ومكيتها أو مدنيتها، وعدد آياتها... وغير ذلك مما يخدم التفسير ويعين عليه.

٤ - يقدم الإمام النسفي من الآراء ما يراه راجحًا - كما سبق -.

٥ - يتعرض الإمام النسفي للنكات اللغوية التي تُظهر جمال القرآن الكريم في أسلوبه الذي أعجز العرب بأن يأتوا بأقصر سورة من مثله.

٦ - يذكر القراءات المتواترة التي لا يترتب عليها - أحيانًا - اختلاف في المعنى، وأحيانًا يختلف المعنى... ويكون بين القراءتين تكامل في الأداء.

٧ - يعتمد كثيرًا في بيان المعنى على الأصل اللغوي لمادة اللفظ المراد بيانه كما سبق.

هذا، ومن المعلوم أن سنة الله تعالى جارية في خلقه، كل يوم هو في شأن، ودوام الحال من المحال، فالمعلومات والأفكار تتغير كل حين، وما سطره الأولون قد يستعصي فهمه على من بعد حتى من راغبي العلم والمعرفة.

وتراثنا العظيم قد مرَّ على بعضه مئات السنين، ومن ثم فإنسان العصر قد لا يعي كل ما قصده الأولون بيسر وسهولة، ولذا وجدنا كثيرًا من الشروح والتعليقات والحواشي، وهي كلها بمثابة تحقيق وتوثيق لتراثنا، وإضافة تقرب المعنى وتزيد في الإيضاح.

هذا، وقد تم بحمد الله وتوفيقه ما أردته من التعليق على تفسير الإمام النسفي للربع الأول من سورة الأنفال، رجاء العفو والغفران، والقبول والرضوان، والنفع العظيم به، والمثوبة عليه من البر الرحيم، الوهاب الكريم جل جلاله وتقدست ذاته، وسمت صفاته وأسماؤه، والحمد لله رب العالمين، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك، أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس المصادر والمراجع

[١] إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبناء ط عبد الحميد أحمد حنفي.
[٢] الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
[٣] الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ط المكتبة الأزهرية.
[٤] أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط دار الكتب العلمية.
[٥] الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ط دار هجر.
[٦] الاعتقاد للبيهقي ط دار الآفاق الجديدة - بيروت.
[٧] الأعلام للزركلي ط دار العلم للملايين.
[٨] الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفي. تأليف: الشيخ/ محمد عبد الحق ابن شاه الهندي. ط دار الكتب العلمية.
[٩] أنوار التنزيل للبيضاوي ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
[١٠] البحر المحيط لأبي حيان ط دار الفكر - بيروت.
[١١] البيان في عد آي القرآن لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبي عمرو الداني ط مركز المخطوطات والتراث - الكويت.
[١٢] تاج العروس للزبيدي ط دار الهداية.
[١٣] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط دار سحنون.
[١٤] تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر ط مكتبة المنار.
[١٥] تفسير أبي السعود ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
[١٦] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ط دار الفكر.
[١٧] تفسير الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة.
[١٨] تقريب التهذيب لابن حجر ط دار الرشيد - سوريا.
[١٩] تهذيب التهذيب لابن حجر ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
[٢٠] تهذيب الكمال لأبي الحجاج يوسف المزي ط مؤسسة الرسالة - بيروت.
[٢١] تهذيب اللغة للأزهري ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
[٢٢] التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ط دار الكتاب العربي.
[٢٣] الثقات لابن حبان ط مؤسسة الكتب الثقافية.
[٢٤] جامع البيان للطبري ط مؤسسة الرسالة.
[٢٥] جمال القراء وكمال الإقراء للإمام السخاوي ط دار المأمون للتراث.
[٢٦] جمهرة أنساب العرب لابن حزم. ط دار الكتب العلمية - بيروت.
[٢٧] الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي. المحقق: د/ فخر الدين قباوة، والأستاذ/ محمد نديم فاضل. ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
[٢٨] حاشية الجمل على الجلالين ط عيسى البابي الحلبي.

[٢٩] حاشية السعد. مخطوط بمكتبة الإسكندرية برقم ٤٦٠٤.
[٣٠] حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ط دار صادر - بيروت.
[٣١] حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان. الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.
[٣٢] حاشية الطيبي على الكشاف.
[٣٣] حاشية القونوي ومعه حاشية ابن التمجيد.
[٣٤] الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه. تحقيق: د/ عبد العال سالم مكر. ط دار الشروق - القاهرة.
[٣٥] الحجة للقراء السبعة. المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي. المحقق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي. ط دار المأمون للتراث.
[٣٦] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي. تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط. ط دار القلم.
[٣٧] ديوان لبيد بن ربيعة العامري ط دار المعرفة.
[٣٨] روح المعاني للإمام الآلوسي ط دار الكتب العلمية - بيروت.
[٣٩] زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ط دار الكتاب العربي.
[٤٠] السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبي بكر بن مجاهد البغدادي ط دار المعارف.
[٤١] سير أعلام النبلاء للذهبي ط مؤسسة الرسالة.
[٤٢] شرح المقاصد في علم الكلام لـ سعد الدين التفتازاني ط دار المعارف.
[٤٣] شرح صحيح مسلم للإمام النووي. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
[٤٤] شعب الإيمان للبيهقي. ط مكتبة الرشد - الرياض.
[٤٥] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط دار العلم للملايين.
[٤٦] صحيح البخاري ط دار ابن كثير.
[٤٧] صحيح مسلم ط دار الجيل - بيروت.
[٤٨] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ط دار الكتب العلمية.
[٤٩] غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ط مكتبة ابن تيمية.
[٥٠] الفتوحات الإلهية للجمل ط دار المنار.
[٥١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله ط الكتاب العربي - بيروت.
[٥٢] لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف، ط دار صادر - بيروت.
[٥٣] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لـ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ط دار الفكر.
[٥٤] المحرر الوجيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية.

[٥٥] مختار الصحاح. تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي. تحقيق: محمود خاطر. ط مكتبة لبنان - بيروت، ط دار الفكر.
[٥٦] مدارج السالكين لابن القيم ط دار الكتاب العربي - بيروت.
[٥٧] مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لـ عبد المؤمن بن عبد الحق ط دار الجيل - بيروت.
[٥٨] المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم. ط دار الكتب العلمية - بيروت.
[٥٩] مسند الإمام أحمد بن حنبل لـ أبي عبد الله أحم بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط مؤسسة الرسالة.
[٦٠] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. ط المكتبة العلمية - بيروت.
[٦١] مع بلاغة القرآن. د/ عبد الحميد محمد العبيسي. بدون.
[٦٢] معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل أبي إسحاق الزجاج ط عالم الكتاب.
[٦٣] المعجم الأوسط للطبراني ط دار الحرمين - القاهرة.
[٦٤] المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. ط دار الدعوة.
[٦٥] معجم مقاييس اللغة. ط دار الفكر.
[٦٦] مفاتيح الغيب للإمام الرازي ط دار إحياء التراث العربي، ط دار الكتب العلمية.
[٦٧] المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني. تحقيق: محمد سيد كيلاني. ط دار المعرفة، ط دار القلم - بيروت.
[٦٨] النحو الوافي. عباس حسن. ط دار المعارف - بيروت.
[٦٩] النشر في القراءات العشر لابن الجزري ط المكتبة التجارية الكبرى.
[٧٠] النهاية في غريب الحديث والأثر ط المكتبة العلمية - بيروت.
[٧١] الوسيط للواحدي ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.